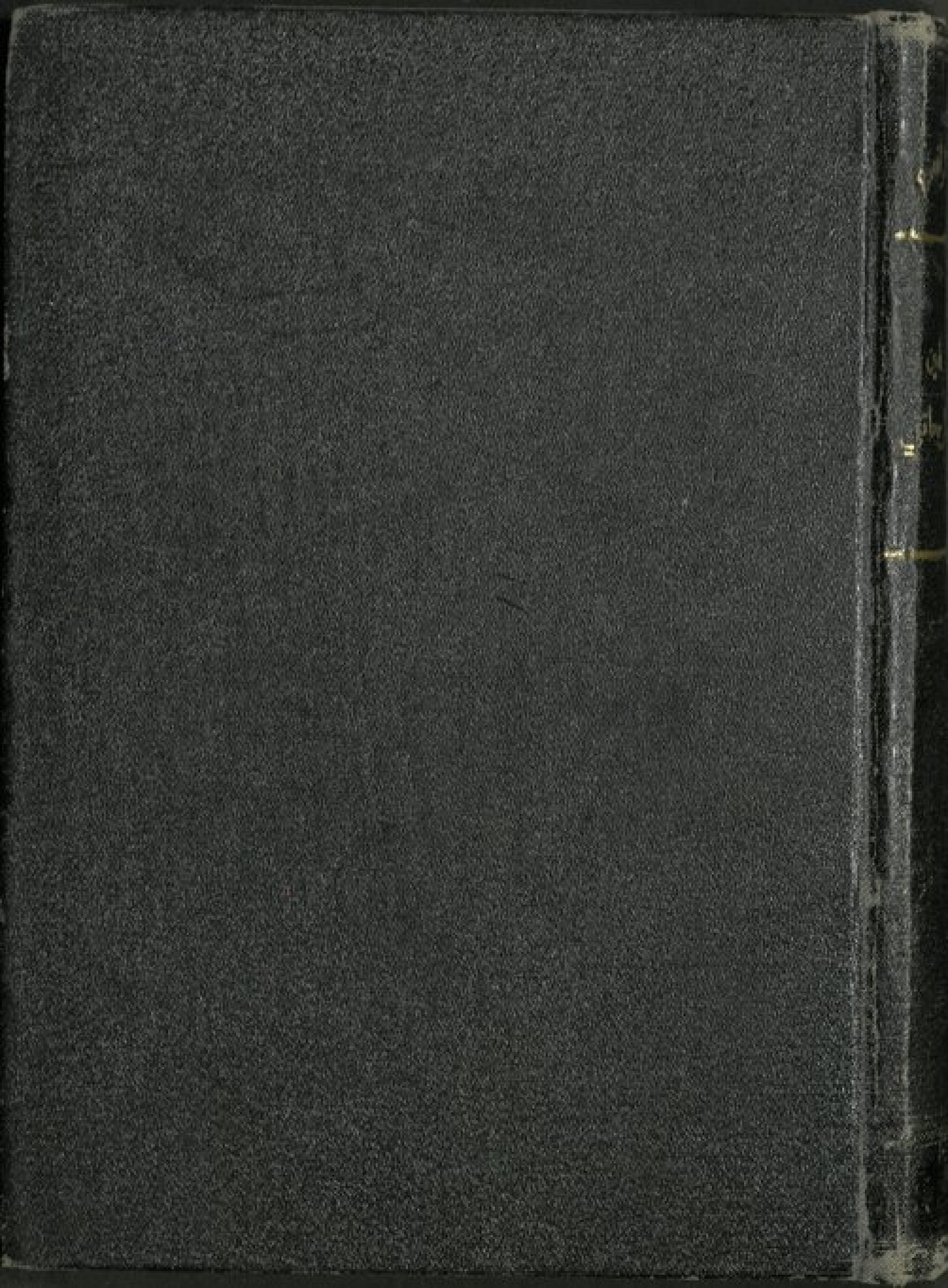
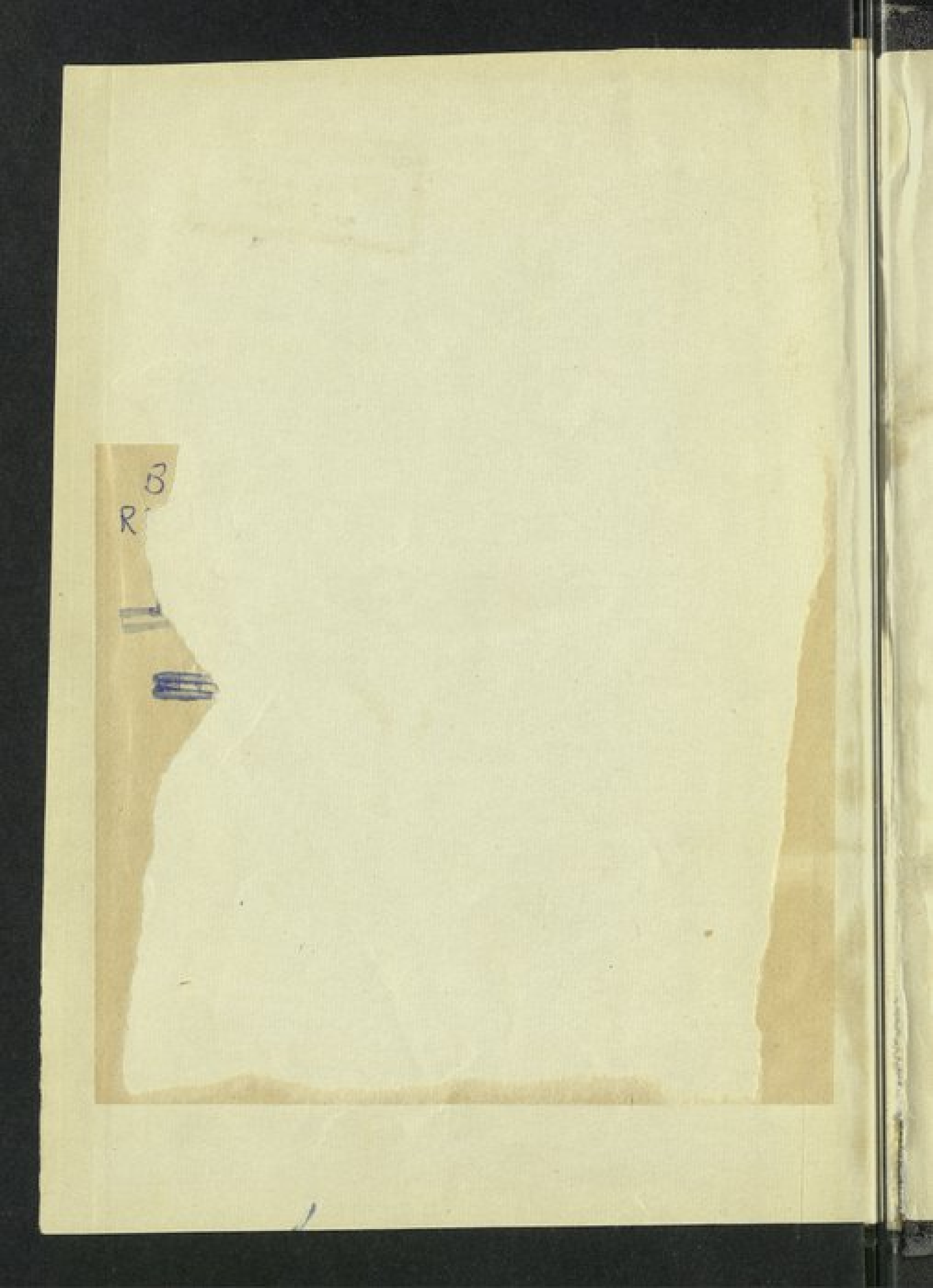
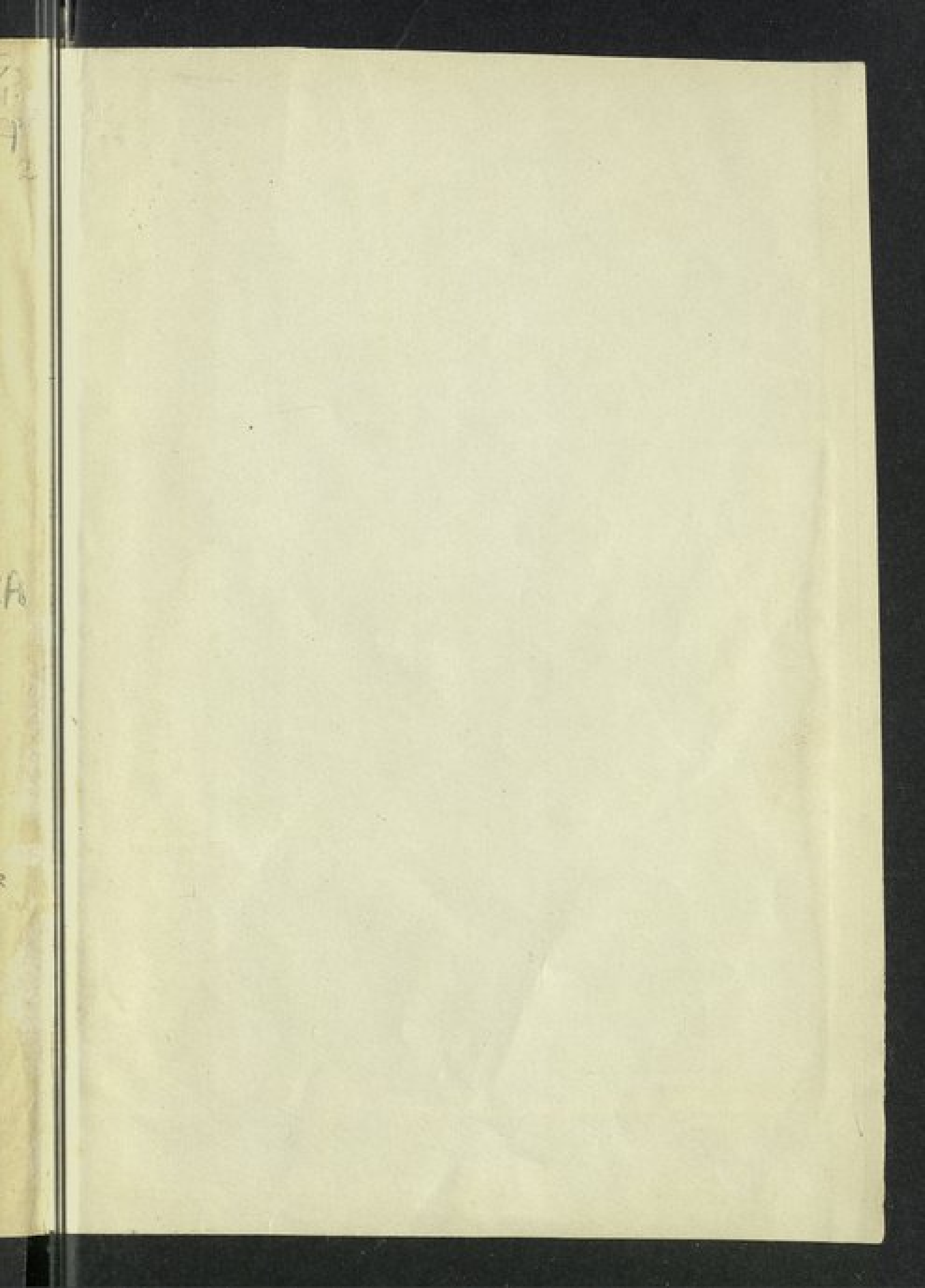
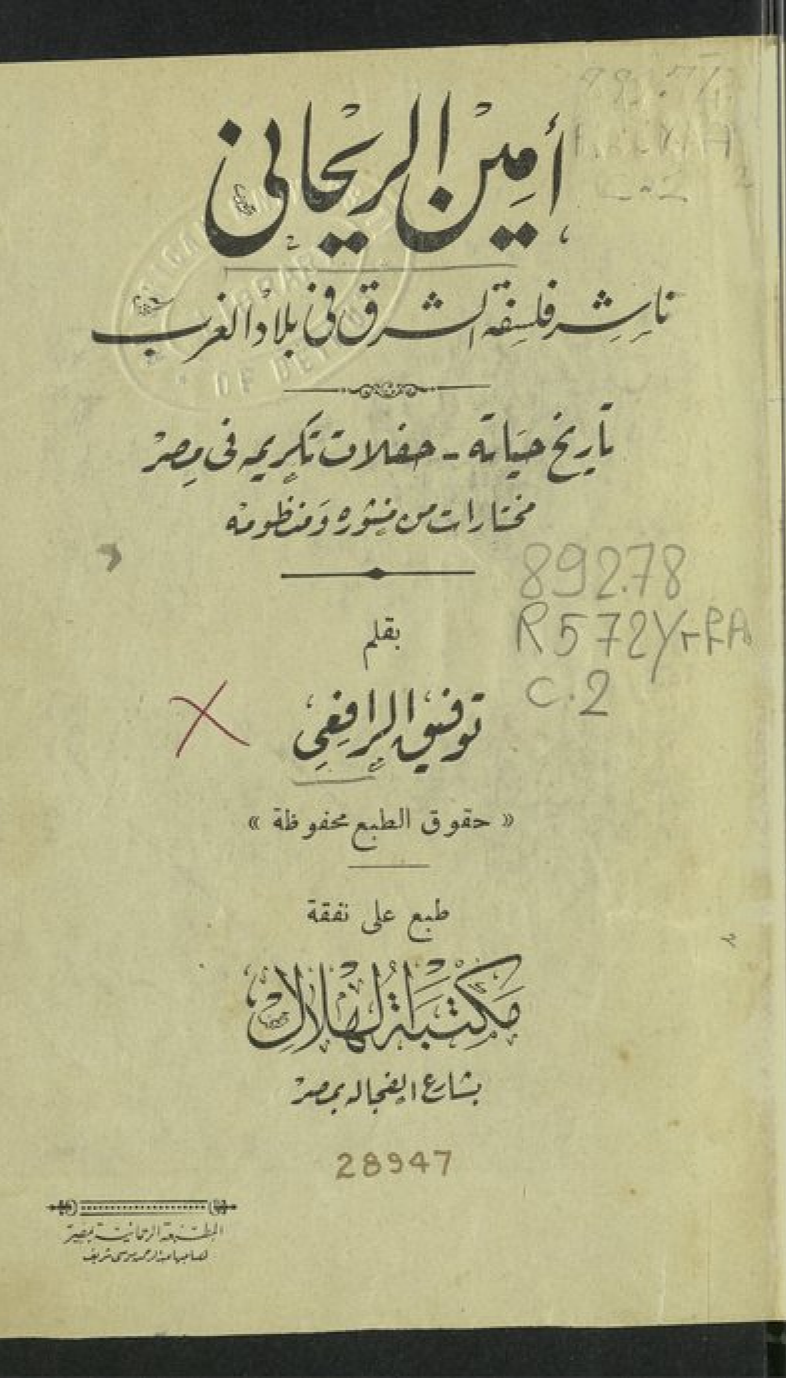










أمين الريحاني

ناشر فلسفة الشرق في بلاد الغرب

تاريخ حياته - حفلات تكريمه في مصر

مختارات من منثوره ومنظومه

بقلم

توفيق الرافعي

طبع على نفقة

مكتبة الهلال

بشارع الفجالة بمصر

المطبعة الرحمانية بمصر

لصاحبها [illegible]

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد فأن الباحث فى شؤون العمران ، والمنقب عن أسباب سعادة الانسان ، لا يكاد يمعن بصره فى شىء يذكر ، أو يجيل فكره فى أى عمل من الاعمال الجليلة النافعة ، الا رأى فيه يداً ظاهرة للادباء والشعراء ، وأصحاب الهيمنة على المشاعر والقلوب ، ذلك بما لهم من السعى المحمود ، والقصد المشهود ، فهم قادة الافكار ، وأمراء الاقلام .

أجل بل هم رسل التعارف بين الامم ، والسنة الوداد بين الشعوب ، بما يؤلفون به بين القلوب من نفثات أقلامهم ،

وما يودعون الالباب من حكم منظومهم ومحكم منثورهم .

ولما كان الانسان مدنياً بطبعه ، محتاجا لاخيه فى شد أزره ، وتقوية عضده ، فكر فى تنظيم الاجتماع والتعاون ، وبث العلوم والمعارف ، لتقوى الجامعة الانسانية ، وترسخ دعائم حضارات الامم ، فأخذت كل أمة على عاتقها القيام بشىء من هذه المنافع على قدر استعدادها ، والعمل على ما يصل اليه جهدها ، والمرء اذا رجع إلى تاريخ الاجتماع وجده حافلا بما للامم الشرقية من الايادى البيضاء على الانسانية جمعاء ، بما نشرت من معارفها ، وأتقنت من صناعتها ، وأكملت من مدنيتها ، وأوسعت فى حضارتها ، وأبقت على الدهر من آثار قوتها .

نعم قد كان أولئك الآباء والاجداد رواد حكمة ، وناشرى فضيلة ، لا يكتفون بنشر العلم فيما بينهم ، بل كان الواحد منهم إذا ظهرت له الحكمة ، أو واتته المعرفة بشىء يخشى فوات نشره لتعميم فائدته سابق الاجل فرسمه على الصخر والحجر ليبقى عبرة أو تذكرة لمن شاء أن يتذكر ،

فيفعل ومثالا يحتذى فى اكمال كل عمل .

أولئك الآباء الشرقيون أصحاب الهمم العالية والمقامات السامية قد جعلوا الشرق بهمتهم العلياء ، وعزتهم القعساء ، جنات زاهية ، قطوفها دانية ، بما أودعوه من بديع المدنيات وجليل المآثر والعادات ، حتى تمنى كثير من رجالات الغرب وفلاسفته أن يكون مستقبل أممهم كماضى أولئك الامجاد

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

يقول لويس جاكوليو :

آه ما أسعدنى إذا صار ماضى الهند مستقبل فرنسا .

ويقول فولتير الفيلسوف الفرنسى :

قد كان للصين اسطرلابات « مراصد للفلك » قبل أن نعرف الكتابة والقراءة [1]

وقس على مدنيتى الهند والصين مايماثلهما أو يفوقهما

---

١ يعنى بهذا سبق الصينين في ميادين المدنية والعمران وبلوغهم غايتها ، وتأخر الغربيين في باحة الهمجية ونزولهم الى وهدتها

من المدنية البابلية والفينقية والمصرية . وما ختم به كل مدنيات الشرق من المدنية العربية ، فقد غشى سيلها الارض الغربية فأحياها بعد موتها ، فاهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج .

أجل قد بعث العرب بمدنيتهم أمم الغرب من أجداثها، وسيء مراقدها ، وطول سباتها .

نعم أخذت أمم الغرب عن العرب مدنيتها واسترشدت بارشادها واهتدت بهديها فسرعان ما برّزت فى ميادين الحضارة وحازت قصب السبق من يد أساتذتها ، [1] وهذا نتيجة جدها فى العمل ، واقبالها على نافع العلم ، فالشرقيون الآن على بكرة أبيهم أعق خلف لا كرم سلف لما أضاعوا من تراث الآباء وما زالوا ينحدرون من مكانتهم وينزلون عن رفعتهم ، حتى غلبوا على أمرهم ، وأصبحوا نهباً مقسماً فيما بينها فاستبدت بهم ومنعتهم ثمرة جد آبائهم وجهد أجدادهم بما القت بينهم من تفريق الكلمة وايقاع الفتن والدسائس

---

١ كحفيد ابن رشيد بالاندلس وغيره

عندئذ أخذ اليأس يتسرب إلى أفئدتهم والقنوط يحط رحاله بين ربوعهم ويغشى مجامعهم ودور سمرهم :

لولا أن الله جلت حكمته قد تداركهم فى حيرتهم فأراهم بصيصاً من نور الأجداد ووميضاً من برق الآمال فأخذوا يبحثون عن ذاك التراث القديم وينقبون عن أسباب الوصول إليه ، فكان فى طليعتهم أدباء الكتاب والشعراء على جارى عادتهم فرأوا أن خير سبيل موصل إلى الغاية المنشودة إنما هو تعارف الأمم الشرقية بعضها ببعض وإحكام الصلات بين شعوبها ، وإذاعة فضلها بين رجال الغرب فكان لعملهم هذا فائدة تذكر فتشكر وآثار تعرف فلا تنكر .

وليس بدعاً إن كان فى مقدمة الأمم الشرقية فى هذه الحلبة الأمتان السورية والمصرية فقد عرفتا حق الجوار وواجب الأخوة فى اللسان فأخذتا تتقاربا وتضع كلتاهما يدها فى يد الأخرى حتى نطق شاعرهم بما فى مكنون ضمائرهم فقال :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب
هنا العلى وهناك المجد والحسب

إلى أن قال :

هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم
فصافحوها تصافح نفسها العرب

فتعاونتا على البر والتقوى وتصادقتا على تكريم رجال العلم والحكمة فى أشخاص رجال الأدب والهمة ، وأنت إذا أبصرت ما يحصل من أبناء أحد القطرين الشقيقين والبلدين التوأمين من التجلة ومآدب الحفاوة والاكرام إذ نزل دار الضيافة أمير من الأمراء فى القطرين أو أديب من الأدباء فى البلدين للسياحة وترويح الخاطر ملكك العجب وعلمت همة العرب وأيقنت أن هذا الشبل من ذاك الأسد .

فقد زار نيويورك منذ أمد غير بعيد صاحب السمو الأمير محمد على فقابلته الجالية السورية فى مهجرها بما يليق بمكانته السامية من التجلة والاكبار ومن الاجلال والاعظام

وكذلك فعل المصريون مثل هذا عند زيارة الأمير شكيب ارسلان لمصر ثم احتفل السوريون بحافظ ابراهيم والمصريون بخليل مطران وآخر ما شهدنا من هـذا القبيل ما قامت به الجاليات السورية وكرام المصريين يوم قدم هـذا القطر الفيلسوف الفذ أمين الريحانى — فقد كرموا العلم فى شخصه وقووا رابطة الاخاء بين السوريين والمصريين بما سارعوا إليه من الاعتراف بفضله وتقديره حق قدره ولا عجب في هـذا فالشرقيون عامة والسوريون والمصريون خاصة أولى بمعرفة الريحانى وفضله وأحق بايفائه الشكر على عمله (فهو ناشر لواء أدب الشرق فى الغرب ومظهر فضل فلسفة المعرى وغيره من فلاسفة الشرق أمام فلاسفة الغرب) وهو من عقد على رأسه الغربيون أكاليل المجد ورفعوا له لواء الحمد فقومه بهذا أولى وعشيرته به أحق وأجدر

فهو رجل الأدب وإتقان العمل وفضله على العلم فضله ومنزلته فى خدمته منزلته على أنك واجد فى هذا الكتاب من سيرته وكيفية نشأته وبليغ حكمه وفصيح خطبه ورقة

أسلوبه ما يثلج له صدرك وتقر به عينك فيقفك على مكانة الرجل بين لداته وأترابه ويعرّفك كيف تنشأ همم الرجال وتتكوّن ملكات العلم .)

هـذا وإننا نرى أن ماحصل فى هاتيك الحفلات من أفضل مساعى التعاون التى تربط الأمم بعضها ببعض لا سيما أن أمم الشرق فى دور تكوينها الحديث وتعارفها السياسى والأدبى وتوثيق المعاهدات وإحكام الصلات .

نسأل الله تعالى أن ينيلها الأمل وينجح لها العمل إنه حسبى وعليه المتكل م . د

القاهرة فى مارس سنة ١٩٢٢ توفيق الرافعى

ترجمة حياته

ما ذكر اسم الأمين إلا وتمثل لكل من طالع مؤلفات ذاك الفيلسوف الشرقي الذى نبتت أفكاره فى لبنان ونمت فى بلاد الحرية بلاد الغرب ونشرت فى المجلات والمؤلفات الانكليزية والعربية .

كاتب رشيق العبارة متين التركيب يطرب بأسلوبه كما يسكر بآرائه الفلسفية تعرب أشعاره عن عقلية سامية وروح رفيعة ورجحان قوة الاستقراء ودقة شرح أسرار الحياة وماوراء الحياة، أفرنجى الأسلوب عصرى الأفكار راقي الخيال والوصف والابتكار ، يبتكر بكتاباته وبلاغة تعبيره آراء وفلسفة اجتماعيـة خالعاً ثوب التقليد والجاهلية القديم ، ينظم الشعر الخيالى البليغ المؤثر باللغة الانكليزية والعربية.

ومن اطلع على بنات أفكاره ونفثات يراعه وبديع أسلوبه وجميل مقالاته وغزارة مادته وما عنده من بعـد التصور

وسمو الخيال وتقرير الحقائق الفلسفية وإيراد اختبارات روح الاجتماع بأسلوبه الشعرى المنثور ، ومن سمع رنة صوته الموسيقي أثناء الخطابة واشاراته التى تأخذ بمجامع القلوب ، يعجب لهذا الاجتماعى الكبير ويفتخر به لأنه شرق راق عاش بين الطبقة الراقية من الأميركين ونال شهرة ومكاناً رفيعاً . وله مكاتبات كثيرة مع كبرائهم وعلمائهم .

وان كاتباً كبيراً وشاعراً متفنناً فى البحث عن أمراض الشرق وتأخره الأدبى الاجتماعى وفلسفة الحياة وما بأسرار الوجود ، وخيالياً يسبح في عالم التصورات الراقية خليق بأن تسطر سيرة حياته ليطلع عليها الناس وخصوصاً الشرقي العربي ويدرس نبوغه أبناء وطنه فى بلاد الغرب

أذكر شيئاً من تاريخ حياته بمناسبة زيارته مصر فى هذا الشهر (٢٨ يناير سنة ٩٢٢) واحتفال السوريين والمصريين بهذا النابغة وتقدير روحه الكبيرة فى جسمه النحيف

*
* *

ولد أمين فارس الريحاني أو فيلسوف الفريكة فى قرية

« الفريكة » من لبنان الجميل في سنة ١٨٧٦ وتعلم مبادىء اللغة العربية والافرنسية فى مدرسة صغيرة لمواطنه الكاتب الصحافى نعوم مكرزل صاحب جريدة الهدى ، وهاجر فى العاشرة من عمره مع عمه إلى نيويورك حيث درس مبادىء اللغة الانكليزية ثم اشتغل بالتجارة خمس سنوات كان فى أثنائها مثالا للاقتصاد وبساطة المعيشة

وطالع تآليف كبار شعراء الانكليز فشغف بكتب شكسبير ورواياته وتولد فيه ميل إلى فن التمثيل فدخل ممثلا فى شركة أميركية وجال معها ثلاثة أشهر ثم ترك هذا الفن الجميل لأسباب .

ودخل كلية نيويورك الفقهية ومكث فيها سنة كان مثال الاجتهاد والذكاء وبدأ منذ ذاك الحين بالكتابة والخطابة ونشر المقالات فى الصحف الأميركية وخطب عدة خطب بالانكليزية فى أندية ومحافل أميركية مشهورة

واشتد عليه الضعف لاكبابه على الدرس فى أثناء تحصيله فى المدرسة فأشار عليه الطبيب بترك الكلية

والرجوع إلى سوريا تغييراً للهواء، فسافر اليها عام ١٨٩٨ وطالع فى أثناء وجوده فى بيته في لبنان نسخة من ديوان المعرى فأعجب بأفكار الشاعر الفلسفيه وراقته فمال إلى ترجمة الرباعيات إلى الانكليزية ولما انهى ترجمتها عرضها على شركة من أهم شركات طبع الكتب في أميركا فقبلتها حالا وبعد طبعها بدأت شهرة الريحانى فأقام نادى الثريا الأميركى حفلة إكرام للسورى النابغة خطب فيها خطبة نفيسة باللغة الانكليزية تقدم اليه بعدها رئيس النادى ووضع على رأسه إكليلا من الزهر وسأله أن يتلو بعض الرباعيات ويسمع الحاضرين الفلسفة الشرقية والنبوغ السورى .

وكتب الريحانى فى أثناء ترجمته الرباعيات مقالات كثيرة نشرها أكثر الجرائد العربية والانكليزية ونظم فى الانكليزية ديوانه المؤثر .

وفى عام ١٩٠٤ عاد إلى سوريا ومكث فى قرية الفريكة مدة طويلة وكتب فى أكثر الجرائد العربية وكان يكاتب المجلات الانكليزية فى أثناء عزلته التى ولدت فى ذهنه فلسفة

راقية ، وطبع الريحانيات المشهورة فى العالم العربى التى تتجلى فيها الفلسفة الشرقية بالقالب الافرنجى الشعرى .

وطبع روايته الانكليزية التى مثل فيها أخلاق السورى وعاداته وشرح حالته فى بلاد الغرب تلك الرواية التى يذكرها الانكليز بين أشهر رواياتهم — كتاب خالد —

وبعد اقامته فى سوريا مدة طويلة رجع إلى نيويورك وعاش عيشة الفلاسفة المعتزلين جائلا بين بروكلن ونيويورك وغيرهما خطيباً ومؤلفاً وكاتباً فى أشهر المجلات والجرائد الانكليزية والعربية ، وهو يكتب ويؤلف للذة يشعر بها ولدافع طبيعى يحركه ليشرح فلسفة الاجتماع ، وخطب عدة خطب فى محافل سورية فى أثناء الحرب العمومية حرك فيها عاطفة السورى وهمته لمساعدة أخيه فى الوطن وإنقاذه من أنياب الجوع ومخالب الموت واليد الظالمة .

أما معيشته فهي إنموذج البساطة واللطف جمع فيها بين الرجل السورى الراقي والاميركى المتمدن ، ونكب عن التبجح وحب الظهور وإحتقار الغير والادعاء وعشق المال ،

وهو يجتهـد فى تطبيق أفعاله على أقواله ولا يود تكليف غيره ما يستطيع هو أن يعمله ، لا يقيد نفسه بالانخراط فى سلك الجمعيات والخضوع لقوانينها ، يعشق الحرية ولا يتذلل لينال غايته ، مقر بضعفه صادق بحديثه مسامح لمن يسىء اليه . سليم النية رقيق الـكلام بشوش الوجه .

أما صفاته فربع القامة مع ميل إلى القصر رقيق العضل نحيف البنية واسع العينين عريض الجبهة كان منذ سنوات طويل الشعر حليق الشاربين ، أما الآن فشعر رأسـه وشاربيه معتدل وهو لا يزال فى دور الشباب والنشاط ، أكثر الله من نوابغنا ونفع بهم الوطن . (الهلال)

حفلات تكريمه

جزى الله الشدائد كل خير إذا جمعت بين القلوب وحيت اليها إجلال غاية أدبية سامية كما حدث فى الشهر الماضى إذ زار الاديب العبقرى أمين الريحانى هـذا القطر فانه قوبل فيه بسلسلة من الحفلات الشائقة وتبارى علماؤها وشعراؤها فى مدحه بخطب أنيقـة نظما ونثراً أكرم بها المصريون إخوانهم السوريين والسوريون إخوانهم المصريين ولقد كان الأدباء يقابلون دائمـا بالحفاوة والاكرام فى بلدان المشرق ولكننا لانعلم إن أحداً منهم لقى مالقى الريحانى فى زيارته لمصر هذه النوبة كأن علماءها وأدباءها من مصريين ومتمصرين وجدوا فى تكريم فنون الأدب فيـه مهربا لنفوسهم من نزعات السياسة وأخاديعها وسبيلا لشد أوامر الجامعة الشرقية ومتسعاً لاظهار ماتكنه ضمائرهم من الحب والاجلال لكل من رفع راية الشرقيين فى البلاد الغربية «المقتطف»

بدأت الحفلات فى منزل الدكتور يعقوب صروف أحد أصحاب جريدة المقطم الغراء ثم توالت فى دارسليم افندى سركيس فمنزل السيدة بلسم عبد الملك صاحبة مجلة المرأة المصرية فمنزل الياس افندى زياده صاحب جريدة المحروسة فدار الجامعة الأميركية فسراى الأمراء ميشيل وحبيب وجورج لطف الله فالكنتنتال بدعوة من طعان بك العماد فساحة الاهرام بدعوة من الأستاذ احمد زكى باشا.

ونحن واصفون كل حفلة على حدتها وذاكرون ما قيل فيها من خطب وقصائد تبارى فيها الخطباء والشعراء معتمدين فى ذلك على أخبار الجرائد السيارة وما وصل الينا علمه من بعض خطباء هذه الحفلات وشعرائها

هذا ويجمل بنا قبل أن نذكر شيئاً عن هذه الحفلات أن نسطر مع الفخر بأن أول من اقترح تكريم الفيلسوف الريحانى وإقامة حفلات لذلك هو الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامى فقد نشر فى مقطم يوم الاربعاء غرة فبراير ١٩٢٢ الكلمة الآتية :

واجب الترحيب بكاتب

«قرأت بمزيد السرور خبر قدوم الشاعر الناثر والمفكر الفيلسوف امين ريحاني الى هذا القطر منذ أيام .

واذكر انه زار مصر فى سنة ١٩٠٥ أى منذ سبع عشرة سنة اذ كانت النهضة القومية فى مهدها فلم ير من حياة الشعب الذى يتطلع لاستعادة حريته ما يكفي لتكوين عقيدته فى مستقبل هذه البلاد وكان الاستاذ ريحاني إذ ذاك فى ريعان شبابه ولم ينجز من مؤلفاته الجليلة إلا رباعيات المعرى وفصولا من كتاب خالد . وقد مضى على تلك الزيارة نحو عقدين من السنين قطع فيهما الشاعر الشرقى والمفكر الغربى مراحل بعيدة المدى فى ساحة العلم والادب فألف الريحانيات التى دلت على علو كعبه فى لغته الأصلية علواً لا يدانيه إلا اقتداره على اللغة الانجليزية وقد خلد فى تلك الصحف وادى الفريكة الذى نشأ فيه وترعرع اذ وصفه فى كتابه أجمل وصف وحببه الى من لم يزوره ولم يعرفوا

جماله . وكفى هذا الوادى فخراً انه أنجب نابغة مثل ريحانى .

وقد زارنا للمرة الثانية ومصر كالقدر الغالية تحمساً وتطلعاً نحو العلى ونحو مستقبل تتمتع فيه بحقوقها المهضومة.

زار مصر للمرة الثانيه وقد بلغت نهضتنا أشدها وصار فتى أمس رجل اليوم والامنية التى كانت تتردد فى نفوسنا أوشكت أن تكون حقيقة واقعة . وسيتاح له أن يرى بعينيه ويسمع بأذنيه مالم ير ولم يسمع فى الزيارة السابقة. فأمامه شعب ناهض مثله كالنسر العظيم الذى أخذ الكرى بمعاقد أجفانه حيناً ثم بدأ نور الفجر يسطع فبدأ النسر يفتح عينيه ويحرك جناحيه ويهز ريشه ليسقط عنه آخر أثر من آثار الفتور والنوم العميق . هاهو النسر أيها الكاتب الشرقى القادم من الغرب ينظر الى الشمس لأنه يريد أن يتبوأ مكانه منها

ان هذا النسر أيها الشاعر يبدو لك قوياً وفتياً ولكن اذا أنعمت النظر فى رأسه وعينيه رأيت انها تحمل آثار الحياة منذ آلاف السنين ولكن ريشه لم يتغير لونه ولم

يلحقه شيب لأن الشيب علامة الشيخوخة والضعف وهذا النسر مع عمره الطويل الغارق فى بحار السنين الغابرة لا يزال صبياً وقادراً على النهوض لينشر جناحيه العظيمين ثم يطير الى حيث تطير النسور ويحلق فى سماء الحرية الصافية الأديم. ان هذا النسر أيها الشاعر الجليل يحييك ويطلب منك أن تنظم له أنشودة جميلة تطربه وتساعده على النهوض. ان مصر العظيمة الجيدة القديمة الجديدة الخالدة تطلب من كل شاعر أن يغنيها صوتاً يقوى من عزمها أو ينشد حكمة تفت فى عضد خصومها.

مصر ترحب بالشاعر اللبنانى الذى غزا الغرب بقلمه وجدد مجد العرب بشعره وأحيا موات الارض بخطبه وكتبه في وطنه. وتطلب اليه أن لا يبق فى ضيافتها صامتاً وأن لا يتكلم بصوت خافت لأن اليوم يوم المناصرة عن عقيدة وايمان.

فهل يجيب شاعر الشرق هذا النداء؟

وإنى بهذه المناسبة أقترح على الكتاب والشعراء

والادباء فى مصر أن يرحبوا بحضرة الشاعر الناثر الترحيب الذي يليق بمقامه العظيم فى الشرق والغرب»

فصادف هـذا الاقتراح هوى فى نفوس الادباء والشعراء وارتياحاً لدى ذوي الفضل والعرفان ومن ثم ابتدأت تقام حفلات التكريم للأستاذ الريحاني فكان أول الحفلات حفلة الدكتور يعقوب صروف



الحفلة الاولى

فى منزل الدكتور يعقوب صروف

دعا عصر يوم الخميس الموافق ٢ فبراير سنة ١٩٢٢ حضرة الدكتور العلامة يعقوب صروف من أصحاب المقتطف والمقطم جمهوراً من فضلاء مصر ورافعى لواء الادب العربى فيها إلى حفلة شاى أعدها فى منزله بشارع عماد الدين للترحيب بحضرة صديقهم الكاتب الشهير أمين افندى ريحانى فلبى المدعوون دعوته وفى مقدمتهم حضرات أصحاب السعادة والعزة اسماعيل صبرى باشا واحمد تيمور باشا واحمد شوقي بك واحمد زكى باشا وسعيد شقير باشا والدكتور صيبعه والآنسة مى وخليل مطران بك وعبد الحليم أفندى المصري ونعوم شقير بك والاستاذ محمد لطفى جمعه وأسعد افندى خليل داغر والدكتور وديع بك بربارى وانطون افندى جميل والدكتور شخاشيرى

فاستقبلهم رب الدار وعائلته الكريمة بالتكريم وبعد ما شربوا الشاى وتناولوا الحلوى وقف حضرة الدكتور صروف وألقى كلمة شكر للمدعوين وترحيب بالمحتفل به نوه فيها بخدمته للادب الشرقي في الشرق والغرب وأطنب فى براعته باللغة الانكليزية التي نافس فيها أبناءها المجيدين .
وتلاه حضرة الشاعر المجيد اسعد افندى خليل داغر فألقى أبياتاً بليغة صفق لها السامعون واستعادوها وعقبه حضرة الشاعر البليغ عبد الحليم افندى المصرى فتلا أبياتاً جزلة وقعت أجمل وقع فى النفوس وأطربت سامعيها فصفقوا لها مراراً ثم نهض حضرة الاستاذ الفاضل محمد لطفى جمعه فخطب خطبة نفيسة دلت على علو كعبه في الانشاء والخطابة وبلاغة التعبير فقوطعت بالتصفيق والاستحسان .
ووقف حضرة أمين افندى ريحانى فشكر الجميع بعبارات رقيقة دلت على شدة حبه للشرق واعتباره كل بلد من بلدانه وطناً له وكل شرقى مواطناً فصفق السامعون كثيراً

وظل الحاضرون بعد ذلك يتبادلون أطايب الحديث ثم ودعوا حضرة صاحب الدعوة وحضرة قرينته الفاضلة وسائر أهل بيتهما شاكرين ما لقوا من كرم الضيافة وما دخل قلوبهم من السرور فى هذه الحفلة الادبية الشرقية .



قصيدة الشاعر المجيد

أسعد افندى خليل داغر

لك يا أمين على اللسان [1] وأهلها
فضل يحدث عنه كل لسان
محصت جوهر شعرها وسبكته
في غيرها فى قالب الاتقان
وملكت ناصية القريض وصغت فى
كليتيهما منه عقود جمان
وأريت أهل الغرب إن الشرق لم
يبرح يذر أشعة العرفان
بلسانهم أحرزت تجلية على
فرسانهم فى حومة الميدان

---

(١) اللسان بمعنى اللغة مؤنث

ولقد سمعت الروض عنك محدثا
نفسى بافصح لهجـة وبيان
ويقول « إن أمين زهرى نثره »
فتقول نفسى « شعره ريحاني »
والله يحفظ ضيفنا ومضيفنا
فى غبطة ومسرة وأمان



خطبة الاستاذ لطفي جمعه المحامى

منذ عشرين سنة تقريباً لقيت أمين الريحانى لاول مرة وكان إذ ذاك فى مقتبل العمر فى الفترة الفنية من حياته (بريوت استيك) متخلقاً بأخلاق الكاتب الانكليزى الشهير «اسكارويلد» من حيث تنسيق الشعر وتصفيفه وانسداله على كتفيه وحلق الشاربين واللحية وكان يدخن الشبك على الطريقة الامريكية فلما رأيته كان يبدو فى وجهه التشك فى كل شىء فى حياة الفكر والعقل والدين وكان مثله كمثل السائح الذى لم يهتد بعد إلى الطريق وكان قد كتب الفصول الاولى من كتاب خالد فقرأ لى بعضها فأعجبت بما جاء على لسانه من وصف أحوال صديقه شكيب ثم شرح لى مشروعه فى تأليف رواية تمثيلية باللغة الانكليزية يكون بطلها الامام على وكلمنى عن تأثير صوت المؤذن فى ذهنه فعجبت من ذلك الذى هجر الشرق وسافر إلى أقصى بلاد الغرب وأكثرها ازدحاما واهتماما بالشؤون

الغربية ومع ذلك فهو لم ينس أدق الاحساسات الشرقية

ان الذين قرأوا كتب الاستاذ الريحاني في مصر قليلون ولكن هذا لا يقلل من قدرها فقد كتب فى النقش والتصوير مقالات تعد من أجمل وأبلغ ما كتبه الناقدون ولا غرابة فان الاستاذ الريحاني اختار لمشاركته فى الحياة نفسا امتازت بادراك أسرار الجمال وتكوينها ونقلها الي عالم المادة بفضل الالوان .

عرفت أمينا وهو لا يحسن اللغة العربية تكلما فضلا عن كتابتها لطول الشقة بينه وبين وطنه الاصلي وقدمت له نسخة من أول كتاب الفته فنظر فيه ثم قال لى سأضع أنا أيضا كتبا باللغة العربية .ولم يكن أمين ممن يعدون ويخلفون أو يعزمون فيترددون فانه بعد بضع سنين قضاها زاهدا منقطعا عن الناس في صومعته بوادي الفريكة أخرج للعالم العربي كتابا من أجل الكتب ألا وهو الريحانيات الذي طبع منه جزآن وباق تحت الطبع مثلهما فأثبت بكتابه هذا انه قد بر بوعده وأتقن لغة القرآن اتقانا يسمح له بالتحرير

فيجاري أكبر الكتاب أسلوبا وسلاسة وسلامة منطق أما عن الافعال فحدث ما شئت فهو مبتكر ومخترع ان فى مصر الآن مئات من أغنياء الامريكان السائحين نراهم فى الطريق ونمر بهم غير مكترثين وقد يكون بينهم ملك الحديد أو الفولاذ أو الذهب ولكننا نكترث ونهتم لرجل قد لا يملك فولاذا ولا حديدا ولا ذهبا لانه وان كان لم يمنح قوة المال فقد منحته الطبيعة قوة امتلاك العقول.

رأيت الريحانى فى تلك السنة مع شوقى بك وكلاهما قصير صغير البدن ولا غرابة فقد امتاز النوابغ بصغر الاجسام وكبر العقول

(نعوم بك شقير مقاطعاً) نريد أن نعلم هل هذه الصفة قاصرة على الرجال أم تشمل النساء أيضاً ؟

(الخطيب مستمراً) لقد وضعنى نعوم بك شقير فى موقف حرج وهأنا أرى السيدات ينظرن إلى مترقبات ذلك الجواب الذى فيه فصل الخطاب .

حقاً له الحق أن يقاطعنى لأنه رجل عظيم وطويل

القامة أيضاً فهو يطالب بحقوق طوالى النجاد فجوابى له ان هذا الوصف وان كان قاصراً على الرجال فانه لا يشمل النساء لأن النساء عظيمات طويلات كن أو قصيرات فليس لنبوغهن شرط ولا قيد .

أعود الى صديقي المحتفل به وأقول انما يكرم لأجل فكره وعقله لا لأجل سبب آخر وهذا دليل على ان الشرق ولا سيما مصر دائماً تتعطش لتقدير النبوغ والاحتفال به فرجل واحد عظيم قدير على اصلاح أمته



الحفلة الثانية

فى منزل سليم افندى سركيس

كان بعد ظهر السبت (٤ فبراير سنة ١٩٢٢) موعد حفلة الشاي التى أقامها حضرة الكاتب المعروف سليم سركيس افندى فى منزله بمصر الجديدة اكراما للكاتب الكبير أمين الريحانى افندى نزيل أميريكا وضيف مصر الآن . وقد كانت الحفلة كسائر حفلات سركيس مجلى الانس والظرف ومظهر الذوق السليم والادب الصحيح كما كان صاحبها على مألوف عادته خير صلة للتعارف بين أدباء مصر والشام وأميريكا فجمع في منزله حول المحتفل به طائفة كبيرة من أدباء القطرين ووجهائهما نذكر منهما الاميرين ميشيل وحبيب لطف الله وأحمد زكى باشا ومحمد المويلحي بك وأمين واصف بك ونعوم شقير بك واحمد حافظ عوض بك وداود بركات افندى والاستاذ لطفي جمعه وخليل مطران افندى وأيوب كميد افندى وانطون الجميل

افندي وسقراط بك سبيرو وأميل زيدان افندي وطعان بك العماد واسكندر مكاريوس افندي وسليم حداد افندي وسليم المشعلاني افندي والياس عيسادي افندي وبعض السيدات

وبعد ان أخذ رسم الحاضرين الفوتوغرافى انتقل المدعوون لتناول الشاى في قاعة الطعام وقد أثقلت موائدها بألطف أنواع الحلواء والاثمار والازهار وكان للخطباء جولة تشهد لهم بطول الباع في ضروب البلاغة وشؤون الاجتماع فافتتح الحفلة صاحب الدار بكلام شهي طلى رحب فيه بالضيف الكريم وبالمدعوين الافاضل وتلاه الاستاذ لطفى جمعه المحامى فتكلم عن الريحاني وبداية عهده به يوم كان يتلمس الطريق الي المثال الاعلى وقد لقيه اليوم وقد وجد ذلك الطريق وسار فيه شوطا بعيدا فى أشد البلاد تزاحما على الحياة وأفاض الخطيب في وصف الداء القتال

الذى يقضي على مواهب الشرقيين وهو عدم قدر مواهب الرجال قدرها في شرقنا[١]

وخطب كذلك الشاعر الكبير خليل مطران فأظهر ماللريحانى من الفضل بنقله الى الغرب آداب الشرق وتعريفه الانجلوسكسون بفضائل الاسلام وان لم يكن مسلماً فحق للشرق أجمع أن يشكره على خدمته الجلى ·

ودعي حضرة داود بركات افندى الى الكلام فقال للريحاني ان التاج الذى عقدته على جبهتك بأعمالك لم يتم فالذى عملت لا يذكر بالنسبة الى ما بقى عليك عمله فان مصر ولبنان والشام وسائر أقطار الشرق عرضة اليوم للمطامع المختلفة فكن أنت فى الغرب محاميا مدافعا عن الشرق حتى تفى بدينك للشرق الذى أنبتك

وكان لسعادة العالم أحمد زكي باشا كلمة ضافية فى الثناء على ضيف مصر الذى أذاع فضل الآداب الشرقية فى

(١) رأينا ان خطبة الأستاذ جمعه هذه لا تزيد بشيء عن خطبته الاولى الذى خطبها فى منزل الدكتور صروف ولذلك أغفلناها

الغرب واستطرد الى ذكر العرب ومفاخر الاسلام مستشهدا بالادلة التاريخية والحجج العمرانية

فقام أمين الريحاني افندى وشكر أصدقاءه واخوانه على احتفائهم به

وانصرف الحاضرون وهم يشكرون لسركيس افندى ولحضرة قرينته الفاضلة وكريماته الاديبات ما لقوه في دارهم من الاكرام والحفاوة وحسن الضيافة .

خطبة سليم أفندى سركيس

الاصدقاء فى بورصة الحياة هم النقد الحقيقي . وانما الفقير من لا أصدقاء له ثم ان الله جعل الاقارب كالجلد من جسد الانسان لا سبيل الى نزعه أحسن أو أساء . وأما الاصدقاء فانهم كالثياب نحرص على الحسن منها ونخلع الرث البالى . ولحسن حظى كان أمين الريحانى صديقا لي منذ أكثر من ٢٠ سنة فتحول الآن الى قريب لانني لم أجد فى صداقته الطويلة مايستوجب نزع ذلك الثوب القشيب

بل كان من سلامة تلك الصداقة وارتقاء هذا الصديق في مراتب النبوغ انني صرت أفتخر بانني في مصر وسورية وأميركا نفسها كنت ولا أزال أول صديق للريحاني الشاب وأول صديق للريحاني الرجل وأول صديق للفيلسوف الذي نحتفل به الآن كما احتفلت به أميركا . فعلى الرحب والسعة أيها الصديق

خطبة داود أفندي بركات

رئيس تحرير الاهرام

يطلب مني حضرة الداعي الكريم سليم افندي سركيس أن أقول كلمة في هذا الاجتماع الأدبي الشائق الذي نحتفي فيه بأديب من أدبائنا الذين يحكمون الآن روابط الشرق بالغرب ويخرجون من كنوز المدنية العربية جواهر يحلون بها جيد الآداب والعلوم

ولولم يكن علي لسركيس افندي دين كبير لا مندوحة من وفائه بما يرضيه وهذا الدين تشريفي بالاجتماع بكم

وبالاستفادة من حكمكم ودرر أقوالكم . لمكثت صامتا أسمع وأتعلم ولمكثت في مخبأي أتغطى عن العيون والانظار بظل السكوت فان لم أستطع أن أؤدي لسركيس أفندي ما يعادل دينه فتلك جنايته على نفسه وعلي أيضاً ومن الحب ما يؤذي المحبين

يقول لكم سركيس أفندى أنكم تحبون بلا شك أن تسمعوا ذلك الذي يخاطبكم كل يوم من على قمة (الاهرام) ولكن هذا الذى يخاطبكم كل يوم ما جرأ أن يستخدم كلمة «أنا» لاعتقاده بضآلتها فهو يغرقها ويواريها فى ذلك الخضم الواسع الذي نعبر عنه نحن الصحافيين بكلمة «نحن» فترون فيها الباحثين والمحدثين والمرشدين جمة . فان كان القول حقاً فهو راجع الى ما اقتبس من المجموع والا فانا نتق بها مغبة الزلل

والآن أوجه الكلام الى أخينا أمين الريحانى لاقول له : انك قد سمعت من الخطباء والادباء كلمات المدح والاطناب بعلمك وعملك . فاسمح لاخ يجل عملك كثيراً أن يقول لك

أنك اذا كنت قد ضفرت لنفسك تاجا من الادب فان في هذا التاج درراً يقدرها العلماء والادباء حق قدرها ولكنك لاتزال في سن الشباب ولا يزال في ذلك التاج مكان لدرر أخرى قد تكون أغلى وأثمن مما رأينا فأعجبنا. فاعمل وجد لتتم تاجك واكليلك. وتذكر أن عليك ديناً آخر لامندوحة لك عن وفائه ذلك الدين هو وفاؤك لوطنك وخدمة هذا الوطن الذي أنبتك فقد تذكر الوادي والجبل والسنديانه والنبع والعين فتذكر كما نحن نذكر ان من هناك استمدينا مطلع الحياة وان الارض بما رحبت وبما تجلى فيها من عظمة لاتحول عيوننا ولا قلوبنا عما انفتحت عليه العيون للنظر والقلوب للشعور والاحساس

أفلا تسمع أيها الاخ صوت لبنان بكل كلمة نقولها الا تلمح من ذكراه هدير النهر وخرير الماء وحفيف الشجر ولمع البرق وقصف الرعد وجلالة الطبيعة وجمال الاخاء والحنو والعطف من كل شيء ومن كل انسان ؟

ان وادي الفريكه أنبتتك فهي وما ناوحها من الآكام

والجبال وجاورها من الاودية أم رؤوم لا يرضيها الا أن تكون الابن البار

ذلك وطنك الصغير ولك ولنا الوطن الكبير وهو الشرق وفي غرة هذا الشرق وجبينه مصر التي تقف منه كالمنارة فان أضاءت أرسلت نورها الى الشرق كله شرقا وغربا وشمالا وجنوباً وهـذه المطامع تتجاذبها وتتجاذب الشرق كله فارفع صوتك ولنقل جميعاً عنـد رفع الصوت بالحق كلمة الطحان الالماني الذي طمع الملك فردريك بطاحونه ليوسع بها حديقة قصره.. «لا أعطيك وفي برلين قضاه»

ففي العالم أحرار ومنصفون يسمعون صوتنا اذا كان هذا الصوت هو صوت الحق الخ الخ

*
* *

وقد تخلف عن حضور هـذه الحفلة الشائقـة من المدعوين الاستاذ الشيخ عبـد المحسن الـكاظمي الشاعر المطبوع فأرسل معتذراً بالابيات الآتية :

اليك سركيس عذر المدنف العاني
عذر المطرق في سر واعلان
ليت الضني تاركي أوليت لي جلداً
يعينني فأؤدي فرض اخواني
حي الامين وحي كل محتفل
يرى الامين وطرفاه قريران
بعثت روحي اليكم حين أقعدني
عن القيام بذاك الفرض جثماني
قالوا سلا والصحاب الغر في طرب
وكيف أسلو أميناً وهو ريحاني
لبنان جادت علينا بابن نجدتها
وكم للبنان من فضل واحسان
عسى تعود الليالي والهزار فمي
والروض روضي والاغصان أغصاني
اني لأحسد قوماً ينعمون به
ان الضني أبداً يسعى لحرماني

خطبة أمين افندى الريحانى

لا أذكر يوماً فى حياتي الفكرية ياسادتى : قدمت فيه الانتساب الدينى على الانتساب الوطنى . لا أقول ذلك فخرا ولا اعتذارا ، انما هى الحقيقة فى مبدئي وسلوكى وقد أكون مخطئا فى تقديمي الوطن على الدين ،ولكننى متيقن ان حجة بعد الموت لا كبر حجة ، أما حجة الحياة وهى حجتى ، فهى عقلية أدبية ، تاريخية ، فلسفية ، فاذا كان العقل والادب والتاريخ والفلسفة تضلل الناس ، أنا اذا من الضالين في هذه الدنيا ومن المغضوب عليهم فى الآخرة .

ولكنى واياكم فى دائرة واحدة وان تعددت طبقاتها وعلىّ كما عليكم مسئولية واحدة وان تعددت أسبابها ، فالادب الحق انما هو دين هذا الزمان والادباء الحقيقيون هم كهنته وأئمته

وبما ان الادباء المصريين والسوريين هم الحلقة التي تصل الشرق بالغرب فالمسئولية عليهم أشد منها على سواهم ،

ولا بد من هذا الاتصال يا سادتي لان عوامل التضامن اليوم اقتصادية كانت أو علمية أشد منها فى كل زمان ، ولا تستطيع أمة أن تستغنى تماماً عن بقية الامم . »

أما الصلة القوية الدائمة ، الصلة الذهبية الصافية ، فلا ينبغى أن تكون سياسية ولا دينيـة ، بل أدبية علميـة فلسفية ، واقتصادية أيضاً ، فمن مدنيـة الغرب تجيئنا مثلا العلوم الكونية الحديثة والى مدنيـة الغرب نتقـدم نحن الشرقيين بالحى السليم الدائم من علومنا الروحيـة ، وان فى مثل هذا التبادل الرقى الحقيق ، بل فيه تصـل الامم الى أعلى درجات التمدين

ومن جهة خصوصية أرى ان على الادباء السوريين مسئولية كبيرة تجاه الكمالات العقلية والاجتماعية ، والحق يقال ان أدبنا يظل ناقصاً اذا كان لا يمزج بشىء من الادب الاسلامى ، والعكس بالعكس ، فان الآداب الاسلاميـة العربية لا تستمر حية نامية عزيزة راقية الا اذا امتزجت

بشىء من الآداب الافرنجية ، وفى هذا الامتزاج يا سادتى كنه الحياة الجديدة التي ستكفل للامم الشرقية استقلالها التام ، وترفع شأنها بين الامم المتمدنة



الحفلة الثالثة

«فى منزل برسوم أفندى روفائيل وحضرة السيدة قرينته صاحبة مجلة المرأة المصرية»

أقام بعد ظهر الاثنين (٦ فبراير سنة ١٩٢٢) حضرة الأديب برسوم أفندى روفائيل وحضرة السيدة قرينته بلسم عبدالملك الكاتبة الشهيرة وصاحبة مجلة المرأة المصرية حفلة شاى فى منزلهما بشارع العزيز بشبرا تكريماً لحضرة الكاتب الفاضل أمين أفندى الريحانى . فلبى دعوتهما فريق من رجال الفضل والأدب وحملة الأقلام وأرباب الصحف العربية ، ولما كمل عقد المدعوين دعوا إلى تناول الشاى فجلسوا إلى مائدة مزينة بالأزهار والرياحين وعليها ما لذ وطاب فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً . ونهض حضرة الدكتور منصور فهمي وخاطب حضرة المحتفل به بكلمات طيبة . ثم وقف رب الدار وألقى كلمة بليغة خاطب المحتفل به وأبان ما له من الأيادى البيضاء فى خدمة العلم والادب فقوبلت بالتصفيق

وعقبه حضرة الاستاذ الريحانى أفندى وبعد أن شكر الداعين والمدعوين تكلم عن المرأة وما لها من التأثير الحسن فى تربية أولادها مما لا يلقن فى المدارس ولا يجمع فى كتاب وشرح كيف أن الطفل فى الحقيقة هو مربي الأم فقوبلت أقواله بالاعجاب ثم انتقل المدعوون إلى قاعة الاستقبال وجلسوا يتجاذبون أطراف الاحاديث والحديث شجون وانصرفوا وهم يثنون على حضرة برسوم أفندى والسيدة قرينته لما لقوه من الترحيب والتكريم .

خطبة برسوم أفندى روفائيل

أستاذى الريحانى

إلى روحك الطيبة التى سطعت شمسها فيما وراء البحار فى الدنيا الجديدة وأرسلت أشعتها المحيية إلى وطنها الاول فى الشرق فبعثت روح الرجاء ، وحركت العواطف النائمة من مراقد الغفلة — نرفع تحية عاطرة خالصة ، ونرحب بك ترحيب الشرقى بأخيه الشرقى وأنت فى وطنك الثانى

(مصر) بين إخوان تجمعهم وإياك صلات الادب وصلات الوطن أيضاً .

فقد كانت مصر وسوريا أختين في حياتهما الطويلة وطالما اجتمعتا وتفرقتا واحتملتا آلام الشقاء وما زالت توجد بينهما اللغة والعواطف والتذكارات التاريخية التي لا تمحى .

إنك أرسلت (الريحانيات) وهو حسنات الآداب في هذا الزمان — كتاباً أوحى به إليك روح الفلسفة القديمة الذي لبث يرفرف فوق وديان لبنان من القرون الغابرة يبحث عمن يودع في روحه نور الحكمة القديمة ويفيض على نفسه روح الخلود حتى رأى ذات يوم فتى ممتلئا حياة وقوة ، ورأى فيه مخايل المجد العلمي والفلسفي للشرق فهبط اليه وأسر لقلبه سر الحكمة .

لقد كان الفتى يداعب العصافير المزقزقة « في وادي الفريكة » « ويهتف لها » أي طيوري الصغيرة لو تعلمين ما في قلبي من العاطفة لما فرت أسرابك خيفة مني — انني لا أحب الأذى انني أريد أن ينتشر السلام والاخاء والحب بين الناس

وأريد أن تعيش الطيور أيضاً بسلام .

فما اسمى روحك وعواطفك يا أمين ! !

أتعرفون أيها السادة من هو ذلك الفتى ؟ انه فيلسوف وادي الفريكة — هو موضع . احتفائنا وتكريمنا اليوم — هو الفيلسوف الكاتب الشرقى المتواضع صاحب التآليف القيمة باللغتين العربية والانجليزية وهو خير ممثل للنبوغ الشرقى فى العالمين الاميركى والاوروبى «أمين الريحانى»

سادتي

ضاقت وطن الريحانى بروحه الكبيرة ولم يجد فى وطنه منفسحا لمداها الواسع فوثب بها وثبة الى ما وراء البحار وهناك بين أبناء سوريا الامجاد أهل النجدة أخذ يملأ الصحف والمجتمعات والاندية بما أودعه فيه الروح من الحكمة والفلسفة وحمل لواء لغة الضاد وأخذ يسير فى طليعة مواكبها فى تلك البلاد الاعجمية حتى عشق فيها القلوب وحبّب فيها النفوس .

أيها السادة

ان أمين الريحانى علم من أعلام الشرق الذين وضعوا بجهادهم الشريف الصامت أساس مدنيتنا وتضامننا الحديث فحيوا فى نفسه الكبيرة الطاهرة هيكل الفلسفة المقدس، حيوا السلام والفضيلة.

وإنى لانتهز هذه الفرصة لاقدم اليه والى مقامكم الكريم تحيات السيدة عقيلتى وتحياتى على تنازلكم بقبول دعوتنا وتشريف دارنا كما اننا نتمنى لفيلسوفنا العظيم طيب الاقامة تحت سماء النيل الصافية وعلى شاطئه السندسى والسلام

خطبة أمين أفندى الريحانى

فى تطور المرأة الغربية محاسن لاننكر أريد أن أشير الآن الى واحدة منها بل الى ما أظنه أهمها، وهو علم التربية. فالتربية الحقة عندهن مبنية على الآية ان أبناءنا أصدقاؤنا أى ان السيادة الابوية لاتتجاوز حد العقل

والحكمة ، وتنحصر كلها فى مصلحة البنين

وهذا النوع من التربية لا يلقن فى المدارس ولا فى الكنائس ولا فى الاجتماعات العلمية وليست أصوله محصورة فى بطون الكتب ولا فى صدور الحكماء ، انما هو قائم بمراقبة الاولاد ودرس أخلاقهم وأذواقهم وأمزجتهم وأطوارهم وميولهم وتكييف التربية عليها ، فالاولاد أنفسهم يعلمون الامهات التربية ، أجل إن الامهات العاقلات الحكيمات يتعلمن كثيراً من بنيهن فينفعنهم فى ما يتعلمن عملا ، مثال ذلك ، إذا سأل الولد سؤالا وكانت الام تجهل الجواب فلا ترد ابنها خائباً ولا تضحك عليه بجواب كاذب بل تبحث عن الموضوع فتستفيد هى أولا وتفيد ، وإذا كسر الولد لعبة تعلمه أمه اصلاحها ، وإذا أضاع شيئاً تحرمه من مثله الى أن يقتصد من مصروفه اليومى ثمنه . كذلك تعلمه البناء لا التخريب ، تعلمه المسئولية ونتائج الاهمال .

تعلمه الشجاعة والصبر وشظف العيش . تعلمه الاعتماد على النفس ، تعلمه الارادة والثبات والاقدام تعلمه حب الوطن قبل كل شيء ، وتعلمه فوق ذلك حرية القول وحرية العمل

أجل سادتي : ان هنالك حرية أكبر من حرية المرأة وأعز ، وهي الحرية التي توجدها المرأة في بنيها . وان حب العلم نغرسه في قلوب البنات خير من العلوم والفنون نكرسها كرهاً في عقولهن ، فاذا رغبت الفتاة بالعلم علمت نفسها المفيد لها كزوجة وكأم وانتفعت عملا بعلمها ، وإذا كانت لاتحب العلم فعشرون سنة في المدارس لا تعلمها شيئاً .

كانت ولم تزل التربية من واجبات المرأة ولكن التربية الحديثة من حسنات تطورها وغرس حب العلم في قلوب البنات خاصة من أهم قواعد التربية .

لاأريد بالعلم العلوم العالية أو الفنون السامية بل المعرفة العقلية بأمور الحياة ، بل التعود على البحث والاستقراء والتفكير والمراقبة ، وكل هذه تؤدى بنا إلى العلم بالامور

والاشياء علما نستفيد به ولا ننساه ، وشيء تجبره بنفسك ويرسخ في ذهنك خير من أشياء تتعلمها فى الكتب فاذا اقتدت المرأة الشرقية بالمرأة الغربية فى ذلك فقط نستغنى عن العلوم الفلسفية والرياضية والسياسية كلها.

الحفلة الرابعة

« فى منزل الياس أفندى زياده صاحب جريدة المحروسة »

دعا فى مساء اليوم (الجمعة ١٠ فبراير سنة ١٩٢٢) الياس أفندى زياده صاحب جريدة المحروسة جمهوراً من الفضلاء والكتاب والشعراء إلى حفلة شاى أقامها فى منزله بشارع المغربى للاجتماع بحضرة الكاتب الشهير أمين افندى الريحانى والاشتراك فى تكريمه فاقبل المدعوون فى الموعد المعين وكانوا يقابلون بالترحيب فكانت حفلة شرقية توافرت فيها أسباب السرور والصفاء ، وبعدما استقر بهم المقام وتبادلوا التحيات وتجاذبوا أطراف الحديث أديرت عليهم الحلوى والشاى من (بوفيه) فاخر

ثم وقفت حضرة الكاتبة الشهيرة الآنسة « مىّ » كريمة صاحب الدعوة فخطبت خطبة بليغة أجادت فيها ما شاءت الاجادة فوصفت المحتفل به فى شعره ونثره وخدمته

للشرق والادب الشرقى وصفاً شمل وادى الفريكة الذى خلده بشعره ونثره فأعجب السامعون بحسن بيانها وثبات جنانها ومقدرتها على إبراز المعانى السامية فى قوالب البلاغة العربية التى تأخذ بمجامع القلوب فكانوا يصفقون لها استحساناً ويكررون عليها الثناء

وألقى حضرة الشاعر البليغ اسعد افندى خليل داغر أبياتاً رقيقة فى مدح الريحانى والآنسة مىّ جمعت بين رقة العاطفة ومتانة التركيب وتوالى الخطباء وهم حضرات الافاضل احمد حافظ عوض بك والدكتور منصور فهمى وداود افندى بركات والدكتور فارس نمر فتكلموا بموضوع الحفلة وأفاضوا فى نهضة الشرق وتضامن شعوبه منوهين بخدمة الريحانى للشرق بنشر لواء آدابهم فى عالم الغرب وتمنوا ان يكثر الله من أمثاله لخير الجميع فقوبلت اقوالهم بالاستحسان والتصفيق.

وكان مسك الختام كلمة رقيقة للمحتفل به شاد فيها بفضل الكاتبة الشهيرة مىّ على الادب الشرقى وشكر الجميع

على ما يلقى من الحفاوة والترحيب وبسط الكلام فى نهضة الشرق وما يجدر بأبنائه فى دور النهضة الحاضرة فوقعت أقواله موقع الاستحسان والاعتبار .

وعاد المجتمعون إلى التحدث فى ما كان موضوع خطب الخطباء واصحاب الدعوة يبالغون فى تكريمهم ثم خرجوا مودعين رب البيت وحضرة قرينته الفاضلة وكريمته النابغة شاكرين ما لقوا من الكرم والاكرام متمنين ان تكثر مثل هذه الاجتماعات لتوثيق عرى الالفة بين ادباء الشرق وتنشيط النهضة الشرقية .

خطبة الآنسة مى

أيها السادة

من رقيق العادات أن القوم اذا نزل عليهم عزيز جاؤا بأصغرهم سناً وشأناً يهدى الى الضيف الازهار ويلقي بين يديه كلمات الترحيب . كأنهم بذلك يقولون للزائر أننا نقدر قدومك تقديراً يعجز دون وصفه الكبير فينا وإنما نقدم

لك الطفل إعترافاً بهذا العجز ودلالة على أن الكبير عندنا والصغير سواء في الشعور بالاغتباط والامتنان .

وعلى هذه العادة جرى أبواى فقدماني انا أصغر اعضاء البيت لاشكر لكم تشريفنا بحضوركم ولارحب بكم بالكلمة العربية البسيطة التى لا يزيدها الاستعمال إلا عذوبة وجمالا : أهلا وسهلا . لقد جئتم أهلا وأرجوكم أن تتناسوا طول السلم ليتسنى لى أن أضيف : ووطئتم سهلا

ولكن لا بأس بالصعوبة أحياناً وأكاد أقول ان قيمة الاعمال تقدر بالتغلب على المصاعب ولا بأس بشىء من التعب للاحتفاء بمن هو بالاحتفاء حقيق . ليس غرضى هنا التنويه بأمين أفندى والاشارة بذكره وهو أمر ما فتىء يقوم به رجالنا الافاضل من مصريين وسوريين منذ أن حل مترجم المعرى بوادى النيل . غير انى ما ذكرت الريحاني الا ذكرت أنه كان جليسى يوم كنت أتلقن اللغة العربية على نفسى . أتلقنها على حبى لهذه اللغة التى أباهى بانى لم أدرسها على استاذ . كان جليسى فى « الريحانيات » وقد كانت

« الريحانيات » من الكتب الخمسة أو الستة التي عرفتني باتجاه الفكر العربي الحديث في صيغتي الشعر والنثر .

استهل الجزء الاول من « الريحانيات » بمقال وصف فيه مسقط رأسه وادي الفريكة — ذلك الوادي الذي أحبه وتغنى بمحاسنه راسما منه الصخور والاشجار ، والمرتفعات والمنحدرات والالوان والاصوات ، مصوراً ما أحاط به من الجبال المتعانقة عناقاً أبدياً تحت رعاية الافق المخيم عليها ، مستحضراً منه المياه المتدفقة والرياح العاصفة والشمس المشرقة والكوكب المتلألئ ، يا لجمال روح الريحاني في مقال « وادي الفريكة » ، قال (رسكن) ان جمال المشاهد الطبيعية كثيراً ما يقوم بما مر عليها أو وقع فيها من حوادث تاريخية أو فردية ، كذلك تشبعت عندي جميع صفحات الكتاب بحياة من وادي الفريكة ، وصرت كلما قرأت فصلا خلته مكتوباً في ذلك الكهف ، أو تحت تلك الشجرة ، أو عند ذلك الغدير . وأرى الريحاني سائراً في معاطف الوادي تحت سيول الامطار هائماً بالطبيعة في انفعالها وغضبها ، طرباً

لتساقط الاوراق ، متسائلا عمن فتح تلك الطريق الصغيرة بين الاشواك والادغال ومطلقاً عليه اسم « بطل الوادى» ثم يقف متفهماً معنى السكينة بعد العاصفة . متنشقاً بنسمة واحدة خليط أنفاس الوادى ، صرت أحسب وادى الفريكة هيكلا يأوى اليه الريحانى ليتأمل ويبحث ويفكر — والفكر صلاة الفليسوف على رأيه — حتى اذا ما كشر المجتمع عن أنيابه ليؤلمه وينسيه لحظة الجمال والحقيقة والصلاح حتى اذا ما أوجعته الصغائر وأمضته الجراح سأل الوادى تعزية وتوزن قيثارته منادياً ربة ذاك الهيكل الطبيعى قائلا: « داوينى ربة الوادى داوينى : اغسلى جرحى وضمدى كلومى: اعيدى الي ما سلبتنى الآلام من مجد الحياة الشعرية وأزيلى عن أجفانى كآبة الاجيال داويني ربة الوادي داوينى . ربة الانشاد اصلحينى .

كان ذلك فى أواخر صيف سنه ١٩١١ وكنا مصطافين فى لبنان فافضيت الى أديب هناك بأثر الريحانيات فى نفسى وكيف ان ذلك الوادى غدا لى شيئاً حياً يتحرك ويندب

ويهلل ويزمجر ، ويهينم ويحيي ويودع ، فقال الاديب : إذن لماذا لا تزورين الوادى وهو على مقربة من هذا المكان ، وأمين ريحانى وصل حديثاً من أمريكا ويقطن منزله المشرف على الوادى وقد دعاه « بالصومعة » وكان ذاك الاديب من أصدقاء شاعرنا فكتب اليه . وكان الجواب ان بعد ظهر الغد زارنا أمين الصومعة مع شقيقته الفاضلتين وبعض أنسبائه وأصحابه . فرأيت بالجسم المرة الاولى ريحانى الوادى هذا الذى تبصرون .

ومضيت الى الفريكة بعد يومين أو ثلاثة مع والدى وبعض الادباء فرأينا هناك المكتب الذى يكتب عليه والنافذة المطلة على البحر البعيد وقد خيمت فوقه روعة الغروب . ورأينا والدته الجليلة . تعلمون أيها السادة أن أمين افندي واسع حر في مسئلة الدين. أي أنه يوحد جميع الاديان في اخوة رفيعة سامية . أما والدته فصائمة مصلية زاهدة متعبدة تكثر من قرع الصدر وتكثر التردد على الكنائس ولعلها تبتهل الى الله دواماً أن يرد ولدها الضال الى حظيرة التوبة

وزرت جانباً من الوادى متلمسة خطوط الصخور والاشجار، متلمسة هيمنة النسائم وهدير النهر المهرول الى حضن البحر. زرت جانباً من الوادى وعندئذ فهمت عظمة التفوق الفردى الذى ينيل الجماد حياة ويجعل المكان المجهول محجة للزائرين عندئذ فهمت عظمة التفوق الفردى الذى قد يثير من الكره والتطاول والعداء بقدر ما يثير من الاعجاب والصداقة والاخلاص ولكنه يهز الافراد والجماعات هزاً ويحدث فيهم يقظة محتومة. عندئذ فهمت عظمة التفوق الفردي المتجلى وحده فريداً باسالب سعادته وشقائه، فوق فروق المراتب وروابط الحسب فتنحنى امامه جباه المكابرين والمسالمين

ومرت عشرة أعوام والريحانى يشتغل فى الغرب بعيداً عن بلاده. وكلما نشر كتاباً أو مقالاذكر أصدقاءه فى الشرق فبعث اليهم بنفثاته. وكنت كلما قرأت منها شيئاً عاودتنى تلك الذكرى الاولى التى بسطتها الآن امامكم

فيا ريحاني الوادى، ان نحن احتفينا بقدومك مرحبين

كل منا باسلوبه الخاص فانما نحتفي بنفسنا الشرقية وبما يتحرك فيها من وراثة سحيقة ويهيجها من ذكريات العز الماضي وآمال القدم المنشود . بالامس قطعت فينيقيا البراري وخاضت البحار مشيدة على الشواطىء القصية المدائن والعواصم . بالامس كانت مصر معلمة العالم تلقي عليه دروس الشريعة والادارة والهندسة والفلسفة الروحانية الخالدة . بالامس فتح سيف الاسلام القارات الثلاث ناشراً فيها حضارة أوجدها القرآن . وكان الشرق الى ذهب يرفع الجبهة ويناجي الشعوب قائلا : ها أنذا . جئتكم بمواهبي استخدمها بنبل لمصلحة بني جنسي ومصلحة بني الانسان

ومما نفاخر به اليوم ويبعث الامل فينا ان منا أفراداً يقفون في بلاد المشرق والمغرب عالي الجبهة لا يكذبون وراثتهم الشرقية ويتغلبون على أنانية الجماهير الحيوية قائلين ما قالته بالامس فينيقيا ومصر والعرب : ها أنذا : جئتكم بمواهبي استخدمها بنبل لمصلحة بني قومي ومصلحة بني الانسان »

قصيدة أسعد أفندى خليل داغر

بين مىّ وأمين شبه ... فى ذكاء ونبوغ واجاده
ولكل منهما الحق اذا ... ما ادعى على الغير السياده
وعجيب ان كلا منهما ... ليست الدعوى وان صحت مراده
منكر ما هو معروف به ... وعليه ثبتا ألف شهاده
والى الآخر كل مسند ... حق تهذيب ونفع وافاده
فهي قالت عن أمين أنه ... خير من شرف فى الغرب بلاده
وأمين قال عنها عند ما ... سألوه : هى مىّ وزياده

خطبة الدكتور منصور افندى فهمى

أيها السادة

كنت أود ان يقدر لى قراءة ما كتبه الريحانى من ضروب الكتابة الممتعة ليكون لى من ذلك مادة صالحة للقول الطيب على أننى أعترف بتقصيرى لانى لم أقرأ ولم أمحص كتابات ذلك الفاضل الذى به نحتفل . ولكن منذ بضعة

أيام دعتنى السيدة صاحبة مجلة المرأة المصرية لحفلة أقامتها للريحانى . لبيت الدعوة وكان معي الصديق داود بركات وصديق آخر . ركبنا مركبة وقصدنا الدار التى اليها دعينا وفى أثناء الطريق أخذ يتلو علينا الصديق الاخير قطعة نثرية للاديب المحتفل به من كتاب فيه مختار من أقوال عيون الادباء

كثيراً ما عودتنى مهنتى فى التدريس أن أجد شخصية القيمين من الكتاب والمفكرين كامنة حتى فى آخر كتاباتهم القصيرة ولقد تبينت فى القطعة التى سمعتها أسلوب العظمة الكتابية ، وصفاء النفس ، والروح الثائرة على النظم العتيقة

شعرت بذلك وقلت فى نفسى لا غرابة إذا تعددت حفلات التكريم لرجل ذلك شأنه لاننا فى أمة راغبة فى الحياة الراقية ، متطلعة الى الكمال . فطبيعى إذن أن يحتفل صفوتها بفرد من أهل ذلك العالم الكمالى يتصل بوحى الادب ويمت الى السماء بسبب

وطبيعى أننا ونحن من الشرقيين نكرم كاتباً ظل

محتفظاً بشرقيته رغم طويل الزمن الذى عاش فيه نائياً عن الشرق ولـكن جعل من آلام الشرق وآمال الشرق الى قلمه وقلبه رسولا .

يقولون أن السيدات أقرب البشر الى تذوق مايوحى الى النفوس الراقية من فكر كبير ، وأدب سام ، ولقد احتفلت سيدة من نحو خمسة أيام بالاديب الريحانى واليوم أرى واسطة العقد من الاحتفال تلك الاديبة الـكبيرة (مىّ)

الجنس اللطيف الذي هو أدنى الى تذوق نتاج العواطف الرفيعة يجد عند الريحاني وفى أدبه تلك العواطف الرفيعة ليمتع الله إذن ذلك الاديب الفاضل بالعافية حتى يفيض علينا من فضل ماأفاض الله به عليه من أدب راق ليجعل له بيننا مدة مقامه مقاماً محموداً .

خطبة أمين افندى الريحانى

ما أنا إلا رمز لفكرة جميلة فى النهوض هى فكرتكم وآمالى فى الارتقاء الشرقى هى آمالكم ، وتشوقى إلى الكمالات

الأدبية والاجتماعية هو شوقكم ، والرمز ، سادتى ينبغي أن يناسب المرموز اليه شكلا وجمالا ، فانظروا الى هذا الشكل وهذه السحنة ثم حولوا نظركم فى هذا البيت العامر الى كوكب فى سماء الآداب نوره يسطع فى كل مكان الى قوة أدبية جمعت بين الحقيقة والجمال ، بين المعرفة والخيال الى من لا يعرفها فى مصر وسوريا وفى المهجر إلا من لا يحسن القراءة الى الآنسة مى

ان لهذه الاديبة مولدين مثلى ، فقد ولدت أولا فى الناصرة ، وقد قال فيها رينان « بلاد الجليل أجمل ما فى فلسطين » ثم ولدت روحياً فى أجمل بلاد الله سماء وهواء وأنساً ، فى مصر على ضفاف النيل ، فجاء أدبها جامعاً بين مزايا البلدين المستحبة بين الشموخ والانبساط ، بين القوة والجمال ، بين الرصانة واللطف ، بين المتانة والرقة ، بين الفكر والشعر ، أجل ان للآنسة مى فى ما تكتب عقل الرجال وعاطفة النساء ، وهذا لعمرى أسمى ما نرغب به من الادب النسائى

ولا ينبغي أن نذهب مذهب الغربين في كل شيء ، فنجرد حقائق الوجود مثلاً مما يكتنفها من أثير الشعر والخيال ومن أسرار الحياة والجمال ، إن بلادنا توحي الينا مثل هذا الادب الممتاز ، إذا أحسناه ، المستمد من الشمس نورها وحرارتها ، ومن السماء صفاءها وألوانها ، ومن الجبال شموخها وتحدرها ، ومن الازهار شكلها وأريجها . وان الشعر في الحياة وفي الآداب هو هذا النور الذي يشع من الشمس وتلك الالوان التي تتماوج في الشفق والغروب ، وذاك الاريج الذي يفوح من الورد ، وكذلك في حقائق الوجود والحياة فاذا جردت من الشعر تصبح كالازهار التي لا شذا لها . وكالثمار التي لا نكهة فيها . وكالعصافير التي لا تحسن التغريد

على أن هناك اليوم نفر من الادباء أدباءنا يحاولون تجريد الشعر من الحقائق فينسجونه خيالا ، وينظمونه أوهاما وآمالا ، وكأنك في مثل أدبهم في عالم علوي بل وهمي لا صلة له بالارض وبحياتنا الدنيا ، وهذا الادب اذا استولى على أمة

أمات فيها الارادة للعمل والاقدام على العمل والقوة فى العمل ونحن الشرقيين فى حاجة شديدة الى ما يدفعنا الى العمل ولا يبعدنا من الشعر ، والمرأة الشرقية بالاخص فى حاجة أشد الى ما يحملها على التفكير على الخروج من وكر الخمول على العمل دون أن يقتل فيها الفضائل النسائية الشريفة . وإني أرى فى أدب الآنسة مىّ ما يحقق من هذا القبيل كبير الآمال [1]



(١) بعض خطب هذه الحفلة والحفلة الثانية نقلناها عن مجلة سركيس الغراء والبعض الآخر تفضل بارسالها الينا أصحابها .

الحفلة الخامسة

«في دار الجامعة الامريكية»

كانت حفلة الثلاثاء (١٤ فبراير سنة ١٩٢٢) فى دار الجامعة الامريكية من اكبر الحفلات الادبية التى شهدتها عاصمة الديار المصرية تبارى فيها فرسان البلاغة فى تكريم الشاعر الناثر أمين أفندى ريحاني بل كانت من أعظم الادلة على أن جامعة اللغة أشد الجوامع ربطاً للنفوس لان اللغة مستودع تاريخ الناطقين بها الاخلاق والادبى والعلمى والسياسى وبالفاظها تهتز دقائق الدماغ وأوتار القلوب . وقد تجلى ذلك باجلى بيان فى هذه الحفلة فخلنا أنفسنا فى سوق عكاظ وقد أضيفت اليه نار الحماسة التى أوقدها تضارب المصالح بين الشرق والغرب ومطالب المدنية الحديثة التى نشأت أصولها فى هذا القطر ثم انتقلت الى الغرب انتقال الشمس . وكان ذلك البهو الواسع يدوى بتصفيق الحضور

المتوالى كلما ذكر الشعراء والخطباء معنى مبتكراً أو أشاروا الى النهضة الوطنية الحديثة ولو اشارة طفيفة

وقد لبى الدعوة التي وزعت بامضاء حضرة الاستاذ لطفى جمعة الى هذه الحفلة جمهور كبير من العلماء والفضلاء وكبار الموظفين والاعيان والمحامين والاطباء والمهندسين والادباء وغيرهم وبعض السيدات المصريات والسوريات حتى ازدحم بهم ذلك البهو على سعته . وجلس فى صدر المكان على منصة الخطابة حضرة المحتفل به والى يمينه ويساره حضرات أصحاب الفضيلة والسعادة والعزة السيد عبد الحميد البكرى والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد شاكر وحمد باشا الباسل وواصف بك غالى والامير ميشيل بك لطف الله والدكتور صروف وافتتح الحفلة حضرة الاستاذ لطفى افندى جمعة بخطبة بليغة استرعى بها سماع المحتفلين وخلب ألبابهم بما نثر عليهم من المعانى الحسان ودلائل الغيرة الوطنية الجامعة لقلوب الناطقين بالضاد رحب بالضيف الكريم ترحيب من طالع كتبه واستشعر روحه وقال أننا نحتفل به

لفضله وعلمه وجهاده المجيد فى اعلان فضل الشرق فى الغرب
ثم ذكر اسماء الذين كرموا في مصر من أفاضلها وشعرائهـا
وقال ليست هذه بالمرة الاولى التى يكرم المصريون فيها
النابغين ووصف المحتفل به بما هو أهله وقال أننى قصدته
وتعرفت به عند زيارته لهذا القطر منذ عشرين عاماً وكان
أجرد أمرد لم ينبت الشعر فى عارضيه بعد بعينين حادتين
وأنف أقنى وكيان صغير وهو يتقد ذكاء وفطنة تخيل لي
وقتئذ أنه فرخ النسر وانه يتحفز للطيران وقد كان من امره
بعد ذلك ما كان فطار وحلق وحلق وحلق . ثم أفاض في
ذكر مؤلفاته وخدماته الجليلة فى الشرق بقلمه ووصف نثره
ونظمه وصفاً استرعى الاسماع وتكلم عن مؤلفه الذى نشر
فيه فضل المعرى فى الغرب ونقل الى لغة أهله بافصح بيان
حكمته وفلسفته وكيف وثب وثبة الاسد للدفاع عنه وتسفيه
آراء حساده ومنتقديه الى ذلك من درر الالفاظ والمعاني
فوقعت اقواله وقعاً عظيما فى النفوس وصفق له الحاضرون
مراراً وتكراراً

ثم تلا على الحاضرين تلغرافاً من صاحب السعادة شوقي بك يعتذر فيه عن الحضور باعتلال صحته ويعد بارسال تحية الى المحتفل به وتلغرافاً آخر بالاعتذار من حضرة صاحب العزة عرفان باشا ثم قامت حضرة الفاضلة السيدة لبيبة أحمد رئيسة جمعية « نهضة السيدات » فرحبت بالمحتفل به وقدمت اليه مجموعة من مجلة السيدات فتقبلها شاكراً وتلاها الشاعر الكبير عبد الحليم افندى المصرى فانشد قصيدة عصماء عامرة الابيات فاستعاده الحاضرون اكثر أبياتها بين تصفيق المصفقين وهتاف المستحسنين

ثم وقف حضرة الفاضل محمد أفندي عبد الرازق وتلا قصيدة لحضرة الشاعر فريد افندى حداد بالاسكندرية وتلا حضرة الفاضل محمود افندى عماد قصيدة عامرة صفقوا لها وتلا حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد عبد المطلب حكمة لحضرة صاحب العزة واصف بك غالى العضو بالوفد المصرى فقوبلت باشد الهتاف والتصفيق المتوالى وتلا حضرة الشاعر الفاضل محمد افندى عبد الرازق قصيدة

استعيدت أبياتها مراراً وتلا حضرة الفاضل أبادير أفندى بقطر كلمة نفيسة كان لها أحسن وقع فى نفوس الحاضرين ثم نودى على حضرة الدكتور منصور افندى فهمي لالقاء كلمة فخضر وتلا حكمة عن معاوية واعتذر

ثم وقف حضرة الاستاذ الكبير الشيخ علي الزنكلوني وتكلم كلمة بليغة صفق لها الحاضرون مرارا ثم تلاه حضرة صاحب العزة نعوم بك شقير فتلا قصيدة بليغة نالت الاستحسان واستعيدت أبياتها مراراً

ثم وقف حضرة المحتفل به وشكر الحاضرين على احتفائهم به ثم تكلم عن زيارته الاولى لمصر ومقابلته فيها للمرحوم قاسم بك أمين لما كان منفرداً بالدعوة الى تحرير المرأة وفقيد الوطن المرحوم مصطفى كامل باشا الذى كان وحيداً فى الدعوة الى استقلال بلاده . قال أما الآن عند زيارتى مصر للمرة الثانية فقد ألفيت الامة المصرية بأسرها من رجال ونساء تطالب باستقلالها وعلى رأسها أبو

الشعب الذى له فى كل قلب منبر ألا وهو صاحب المعالي زغلول باشا وهنا اهتز المكان بالتصفيق والهتاف المتواصلين ولما ساد السكون شرع فى تلاوة قصيدة منثورة على الحاضرين عن « الشرق » فقابلها السامعون بالاصغاء التام ولما فرغ من تلاوتها دوى المكان بالتصفيق والهتاف للمحتفل به ولمعالى سعد باشا ، ثم أعلن انتهاء هذه الحفلة الشائقة وكانت الساعة السادسة والربع فخرج الحاضرون وكانوا مئات وهم يتحدثون بمحاسن حفلتهم وما سمعوا فيها من غرر اللفظ ودرر المعنى متمنين أن تكثر هذه الحفلات المفيدة .

ولا مراء أن هذه الحفلات المتوالية جاءت مؤيدة لما هو مشهور فى الشرق والغرب عن الكرم المصرى ولما بات معلوماً وهو أن جامعة اللغة أقوى الجامعات كلها .

قصيدة عبد الحليم افندى المصرى

طار خلف البحار صوت عرينى   مطار الزئير من خفان
مثلما جلجت زمازم للرعـ   ـد ولـكن وقعه كالاغانى
وادق بالنهى يلث على الرو   ح حياة كالعارض الهتان
معجم معرب الى شكسبير   ينقل المعجزات عن (سحبان)
عن ذكاء كأنه لمحة الشمـ   ـس وعزم كنفثه البركان
عن فؤاد كأنه وضح الصبـ   ـح ورأى صاف كصقل اليمانى
قانص شارد الخواطر غوا   ص على الدر فى بحار المعانى
(أهل لبنان) أشركوا مصر فى الفخـ   ـر وإلا اعتدت على لبنان
هو منا وحسبنا وطن الشر   ق فمصر وسوريا أختان
هو منا وإنما مصر روض   وكذا الروض منبت (الريحان)
فسلام عليك يا لجة (الار   دن) لا زلت جمة الفيضان
وسلام عليك (يا شجر الار   ز) ويا أرضه فكم تنجبان
وسلام عليك يا أرض لبنان   ومجنى العلوم والعرفان

يا عربياً (للضاد) فيه لاشبا
لك زأر يصم سمع الزمان
سمع الغرب من بنى الشرق صوتاً
عربيـاً موفق التبيان
هاله أن يرى نبوغاً جـديدا
أسمر اللون فى صغير الـكيان
ليس وقفاً على بياض نبوغ
فالنهى فى النفوس لا الابدان
وبنو السمر قبلهم ملـكوا الار
ض وساسوا الملوك من (ساسان)
وعليهم طال الزمان فملوا الـ
ـمكث بين العروش والتيجان
وقضى الله أن يكونوا رعايا
وجرى حظهم مع الالوان
فعسى أن يدور دورته الدهـ
ـر فيهوى البياض فى الدوران

ربنــا اننــا اليــك رجعنــا
يا سلاح الاعزال فى الميدان
ربنــا أنت للضعيف والمظـ
ـلوم والمستجير والحيران
ربنــا ما نسيتنا غـير انا
ما لنــا بالذى حملنا يدان
ربنااصرف عناعذابك واجعل
مخرجاً للبلاد ممــا تعانى
ربنــا أنجنا فانك منجى
(سفن نوح) من غمرة الطوفان
ربنا قد سمعت فى اليم موسى
وسمعت الخليل فى النيران
فاستجب دعوتى فانى من أر
ض عليها أثنيت فى (القرآن)

*
* *

أيها الباعث المعرى من القبـ
ـر وكيف استطعت رد الفانى
صيحة منـك أرجعته كما كا
ن بصير النهى فصيح اللسان
أنت في صيحة بعثت (المعرى)
فابعث المجد بين تلك المغانى
وإذا ما هتفت فاهتف بمصر
فهى دار القصاد والضيفان
نكرم النازل الغريب — ولا مـ
ـن ونطوى الاكرام بالنسيان

*
* *

قم ومهد للشرق فى الغرب وافتح
لبنى الشرق مغلق البلدان
إن تحت الاقلام فتحاً مبينا
فوق فتح السيوف والمران

أنت من أنت فى السراة وأهل المـ
ـال والجالسين فى الايوان
أينال الاديب بالغابة الجو
فاء ما لا ينال بالصولجان
أينال الاديب ما لم ينله
برضى شعبه (أنو شروان)
شعراء الزمان أنتم على الفقـ
ـر بأقلامكم ملوك الزمان
فارفع الشرق فى ذرى الغرب وانشر
لغة الشرق فى بنى الانسان
وأر الغرب أن فينا رجالا
رجحوهم فى كفة الميزان
كل فحل يكاد يختطف الوحـ
ـى بلا وقفة ولا استئذان
ان أدياننا لشتى فكونى
لغة الشرق وحدة الاديان

ان أوطاننا لشتى فكوني

لغة الشرق وحدة الاوطان

أنت مثل الاثير يا لغة الشر

ق فكوني اتصال قاص بدان

أنت نعم الرسول يالغة الشر

ق وصوت الطبيعة الرنان

فلئن أنطق الحمام لغنى

عربى اللسان والوجدان

من يشأ أن يرى النوابغ منا

(فأمين) يغنيهم عن بيانى

قصيدة فريد أفندى حداد

تصباك ادكار الاولينا وشاقك عظم مجد الاقدمينا

وراعك ما طوت منه الليالى فكادت تحجب الصبح المبينا

نظرت إلى العلى فرأيت شمساً تطل على عصور السالفينا

تشير بنانها بشعاع نور الى قوم أناروا العالمينا
تحييهم بمطلعها وتحيي لهم فى الشرق ذكرى الخالدينا
وشمت الغرب يغضى عن سناهم
كأن الغرب مهد النابغينا
فأطلقت اليراع على طروس تسطر معجزات الناطقينا
نقلت بيان حكمتهم اليهم وكنت بنقله الحر الامينا
نثرت عليهم آيات صدق عن العرب الكرام الظافرينا
بنثر فاق نثرهم وشعر بليغ فاق نظم الناظمينا
جلوت لهم حقيقة ما أتوه وما نبغوا به أدباً ودينا
لقد أوحى البيان اليك سراً وكان على سواك به ضنينا
فياضيف الكنانة ان مصراً تحي اليوم مقداماً أمينا
تحيي فيك آداباً وعلماً وتكرم مصر أوفى المخلصينا
شمائل باهرات لم يشبها سوى عرفان قدر العاملينا
فجاهد فى سبيل الشرق وادفع برشدك عنه لوم اللائمينا
لعل الدهر ينصفه سريعاً معيداً فيه مجد الاولينا

قصيدة احمد افندى محرم

أعرفتها فشجاك من عرفانها   أن الزمان ابتز حسن بيانها
وقف الكلال بها على أوطانه   والشوق يحفزها الى أوطانها

نفس طوت فى الاربعين مراحها
ومشى المشيب يجر فضل عنانها
النفس ملكك والصبى لك قوة
تحمى المهيب الفخم من سلطانها

تلك الجنود وأنت صاحب دولة ألقت اليك بسيفها وسنانها

راقب سيوف الله عند ضرابها
وأسنة الاقدار عند طعانها
لا تظامن ولا تطش بك نزوة
فالنفس تلقى الحتف فى نزواتها
واعمل لقومك والشعوب بأسرها
لك ان أمنت السوء من عدوانها

قوم الفتى فى أرضـه وزمانه
أمم الحياة بأرضها وزمانهـا
ساس الممالك معشر جمحت بهم
شهواتهم فأتوا على بنيانهـا
ساقوا الشعوب إلى الشعوب كتائبا
يذكى الدم المهراق من أضغانها
ما نال ذئب السوء من قطعانه
ما نال سوء الحكم من قطعانها

***

ضيف (الكنانة) أنت حاتم أمة
ألدهر والاجيال من ضيفانها
أنت الاديب ونحن أمتك التى
تروى شعوب الارض عن احسانها
تهب النفوس حياتها فاذا بها
ملء الفجاج تثور من أكفانها

نطغى الجبابرة العتاة فان دعا
داعى اليراع قضى على طغيانها
قل يا (أمين) فأنت أبلغ قائل
غوث النفوس وطال عهد حرانها
أمنن على الاقطار منك بحكمة
تهدى الشعوب بها إلى ديانها
الشعر والادب المهذب طيع
والعرب مصغية الى (حسانها)
تهفو الجموع الى بيانك وحده
وأرى القلوب تطل من آذانها
أدب يصيب الشرق فيه شبابه
وتصونه الآداب فى تيجانها

*
* *

أذكر لخالتك (١) الحديث ولا تبح
بهموم خالتنا (٢) ولا أحزانها

---

(١) مصر (٢) سوريا

هذى تحس السهم فى (اهرامها)

وتحس تلك الجرح فى (لبنانها)

لا تحزنن سبية اسبية

دنيا الشعوب تجد فى دورانها

الشرق فى أبطاله وحماته

والضاد فى العالين من أعيانها

كل يسير للتحية موكباً

يعلو المواكب فى رفيع مكانها

نظم الزهور لكل جيل غضة

تمشى الدهور على شذا ريحانها

حق (الامين) وللنبوابغ حقها

وجلال رتبتها ورفعة شأنها

* * *

أنظر الى دول الزمان ودولة

كبر الزمان فصار من غلمانها

ماقيس فى ماضى الملوك جلالها
بجلال (قيصرها) ولا (ساسانها)
نظموا الممالك والممالك كلها
فى تاجها العالى وفى إيوانها
انى رأيت الشعر دين هداية
ينهى الغوى النفس عن شيطانها
لا يصدق الايمان فى نفس امرئ
حتى يكون الشعر من إيمانها
قل للأئمة أين إنجيل الهدى
فالناس عاكفة على أوثانها
ومن المعين على عباب جهالة
غرقت شعوب الشرق فى طوفانها
لا تبلغ الامم المراتب نخمة
حتى يكون العلم من أعوانها
ولقلما يبقى بناء حياتها
حتى ترى الاخلاق من أركانها

قصيدة محمد أفندى عبد الرازق

لله عرشك من عرش وإيوان
يا ضيف مصر ويا عنوان لبنان
يا زهرة نبتت في الشرق ثم سرى
للغرب منها شذى عرف وريحان
يا كوكباً فى سماء الشام مطلعه
ونوره الهدى للقاصى والداني
أكلما جحدوا للشرق حكمته
بدى لهم كل يوم ألف برهان
ان فاخروا (بشكسبير) وشيعته
وان أشدنا (بقس) أو (بسحبان)
فالشام تفخر أن قدأ نبتت رجلا
له من الادبين اليوم سهمان
فتى تغرب طفلا عن ملاعبه
والطفل يبكي لتذكار وتحنان

أنامل كن ينسجن الحرير وقد
غدون ينسجن من در وتيجان

ياصاحب النول طفلا واليراع فتى
وصاحب الذكر فى تسيارك الثانى

أى المشاعر هاجت فيك واتقدت
وأى معنى عميق . أى وجدان ؟

لما رأيت (نيويوركا) وقد نصبوا
على مداخلها تمثال انسان

فتاتهم تحمل المصباح ناشرة
للحق أنوار اقناع وايمان

ماذا رأيت وأمر القوم بينهمو
شورى بلا عنت قاسٍ وعدوان

كل له مذهب يسعى لينشره
فصاحب الملك والصعلوك سيان

لا فرق بين غنى يستفز بما
لديه من ذهب أو بائس عانى

(رأي الجماعة لا تشق البلاد به)

والحق زهرة اقناع وبرهان

أكنت فيهم غداة النصر يوم هوى

زعيمهم بين أعوال وأشجان

وغادر العرش يبكي وهو متكئ

مجداً قديماً بدمع منه هتان

قلنا نبي الى الاصلاح يرشدنا

لما أتانا بانجيل وقرآن

لكنما قوة الاطماع باقية

وما سواها جديد زائل فاني

والنفس تبدو لغايات تؤملها

كأنها ملك في ثوب احسان

*
* *

ياثغر لبنان ماذنب القريض اذا

لم امتد حكم بتفصيل وتبيان

فما مدحت سوى مولى نعوذ به

من كل منتقم عات وشيطان

له بكل فؤاد حرقة وهوى

كما لكم فى فؤادى الموضع الثانى

*
* *

يا فخر لبنان قبل اليوم ما سمعت … أذناى دراً بصوت منك رنان
وما رأيتك إلا فى مخيلتى … من الملائك فى ارذان انسان
بنيتمو مجد لبنان على دعم … من الحقائق لم تخلق لبنيان
هذى جرائدكم فى كل حاضرة … وذى مجلاتكم فى كل ميدان
وما خلا منبر إلا وقام له … شبل ليعلوه من أهل لبنان
أم اللغات حميتم حوضها فصفا … وراح يشرب منه كل ظمآن
اذا دعونا الى الجلى فان لنا … فى الشام أكبر أنصار وأعوان
ما الشرق إلا كتاب كله حكم … أنتم له دون شك خير عنوان
مصر الفتية تهديكم تحيتها … فانها وبلاد (الارز) أختان

إن كان في مصر (شوقي) نستعز به
فعترة الشرق في أعمال ريحاني

قصيدة محمود افندي عماد

كل هذا السكون للشاعر دار ... ليس ضيفاً فتحييه الديار
انه أكبر من أن ينتمي ... لشعار وهو للدنيا شعار
كيف لا تعرفه أصقاعها ... وبها من فكره الملهب نار!
كيف لا تعرفه أجواؤها ... وهي مرقى لنهاه ومطار؟
كيف لا تعرفه ساعاتها ... وهو يحصي دقها ليل نهار؟
انما الشاعر روح شائع ... في شعاب الكون مأمون العثار
انه الريح سرت طيبة ... ليس يثنيها بناء أو جدار
انه الرحمة عمت واحتوت ... كل ما دب على الارض وسار
هو في الارض رسول من عل ... يتولى رعيها فوق المدار
من سواه نعت الدنيا الى ... ساكنيها ونضا عنها الخمار؟
من سواه عرف القبح ومن ... عرف الحسن فنحي وأثار؟
أتراهم لو عداهم وحيه ... يحسنون السير في هذي القفار؟

هو للمجموع يحيا لا له ومن المجموع يأتيه البوار

هل يرى الشاعر الا باكياً لخراب أو ضحوكا لعمار ؟

همه تعميم نفع وهدى وان اختص بضر وخسار

***

ضيفكم ياقوم ضيف للورى لا تشينوه بدعوى واحتكار

ان شعراً ليس يعدو نفعه قائليه فلياليه قصار

فخر (مصر) بعد (لبنان) به فخر (أمريكا) وماخاف البحار

كيف تعتز به منطقة دون أخرى وهو يأبى أن يخار

قد أنسنا قبل مرآه به وسمعناه وان شط المزار

قصيدة فيليب أفندى مخلوف اللبنانى

قد أكرمت مصر بالترحاب مثوانا

هاجت جروحى اذ أيقظت أشجانا

فأضمر الدمع قلباً كان ريانا

صداح مصر بقلبى صدحه وله

فى صدر لبنان صوت بات رنانا

تؤوى الضلوع صدى شكواه ذاكرة
عهد الاخوة أجيالا وأزمانا
عهد السموّ الى العلياء نصعدها
جنباً لجنب وعين الله ترعانا
ألا تعيدلنا الاقدار ماسلبت من تالد الفضل أخلاقا وايمانا
وتنصف القوم أبناء الأُلى جعلوا
حضارة الشرق للاقوام عنوانا
فأثقلوا البحر براً من سفائنهم وأغرقوا البر بحراً أماج شجعانا
وسهلوا الشر بين الناس اذ طبعوا
مقاطع الصوت الفاظاً وألحانا
تكبدوا الارض فاستقصوا مجاهلها
وعمروا القفر أقطاراً وبلدانا
ونظموا البيع فى الاسواق إذعرضوا
تواجر الرزق أصنافا وألوانا
تلك المفاخر للاجداد نذكرها
ذكرى المفاخر فيها النفع أحيانا

أترجع الشمس للشرق الذى سطعت
للناس منه هدى ديناً وعرفانا
أمشرق الشمس يضحى مظلماً أبداً
ومشرع العلم يبقى الدهر ظمآنا
مصرٌ وقد نهضت فالسعد رائدها
يمضى بها قدما للمجد يقظانا
يمضي وتتبعه الاقوام رافعة أهلة جاورت فى الحق صلبانا
شم الانوف يدير الموت خمرتهم
يشتفها خاطب العلياء عطشانا
ان كان لابد من موت نعيش به
فما أحب الردى أن يحيي أوطانا
إن يبكم الظلم صوت الحق فى أمم
فالحق مبلغه اذنا ووجدانا
تجاهلوا الشرع حتى بات منصفهم
يلابس الحق بين الناس بطلانا

تجنبوا كتب التشريع واُمتشقوا
من غمده السيف للاحكام ميزانا
فاستسمع الصم صوت البكم فى صحف
وأنظر النور فى الظلماء عميانا
وحدث الغرب عن نور بمشرقه
ان يحتبسه فقد يلفيه نيرانا
إن النفوس إذا ما أنصفت عطفت
والعطف كان لذى الحاجات معوانا
والعدل أنجع طب تستطب به
نفس إذا كلمت ظلماً وعدوانا
والسلم مدعاة خير للانام وما
بالشر نفع لاقوام وان هانا
تنفس الشرق عن صبح يضاحكه
فالشمس موقظة للشرق أجفانا
والروح واثبة للمجد طالبة
فى أوج عزته نزلا وإيوانا

فالدهر في غير والشمس إن غربت
لا شك عائدة يوماً للقيانا
واذكر لمصر جميلا نحن نذكره
قد أكرمت مصر بالترحاب مثوانا
مصر لنا وطن ثان وان بها
في أهلها للقرى أهلا وإخوانا
فلتحي مصر ويحيي القوم انهمو
منارة الشرق منهاجاً وتبيانا

قصيدة محمد توفيق أفندى خاكى

سلاماً للذي زان الشبابا وأهلا بالذى وافا الرحابا
عن أضحى وحيد العصر علما وفلسفة وآداباً عذابا
فكان زخيرة للشرق تبقى له ذوْد إذا ما الغرب عابا
وعنوان المفاخر والمعالى إذا قرأوا لنا فيها كتابا
وكان نبوغه للشرق تاجاً إذا ما الغرب فاخرنا الثيابا
ولما كانت العلياء تشكو ولم يحسن لها أحد جوابا
أتاح الله نابغة (أميناً) فكان بأُفقها السامى شهابا

فيا ليث العرين فداك نفسى   فويلَ الغاب إما الليث غابا
فكم دافعت عن آداب شرق   فألزمت الذى عاب المتابا
وقد ترجمت أشعار المعرى   (بآمركا) وذللت الصعابا
فأدهشت الالى سكروا وقالوا   أدار مدامة مزجت ملابا
بلاد للعجائب ساكنوها   رأوا آدابنا العجب العجابا
فأنستهم طلاوتها اختراعا   وأحنوا عندما تليت رقابا
فيا ريحان منه أريج فضل   وقد بلغت مكانته السحابا
فكان لقطرنا منه انتعاش   وكان بعيننا الليث المهابا
نزلت فكنت فيه أجل ضيف   وكان حنينه لكم ركابا
فدم ياذا العلا لنهوض شرق   بمثلك يبتغى اليوم الغلابا

خطبة الدكتور منصور أفندى فهمى

ولما نودى على الدكتور منصور أفندى فهمي أستاذ الفلسفة فى الجامعة المصرية ودعي الى الخطابة وقف وقال :

اني على غير استعداد وقد سئل معاوية (رضى الله عنه) ذات يوم أى شىء تحبه وتهواه ؟

فقال محادثة الرجال .

وقد عثرت على رجل يحدثكم وأشار إلى الاستاذ الريحاني وجلس .

خطبة الاستاذ الجليل

الشيخ على الزنكلونى من علماء الازهر الشريف

أيها الساده

إنى ما حضرت فى هذه الحفلة المباركة لاكون خطيباً ولا نبهت فى بطاقة الدعوة لهذا الغرض وإنما حضرت لاشترك فى حفلة تكريم الاستاذ الريحانى مع المكرمين ، إن الاستاذ الريحانى لم تكن لى به صلة قبل هذه الحفلة ولا سابقة عهد ولم أقف على تاريخه المجيد إلا من خطبة الاستاذ المحتفل لطفى جمعة وهذا وان عد تقصيراً بالنسبة إلىّ فلا يعد نقصاً فى جانب المحتفل به لان له آثاراً جليلة وأياد فاضلة على الشرق ولا ضير عليه إذا عاق ضعف الهمم بعض أبناء الشرق عن التطلع لهذه الآثار على انى رجل دينى يجب علىّ أن أستكمل دائرتى الدينية فاذا قصرت فيها فانما أقصر فى واجب ضرورى وفى حياة جوهرية فاذا ضعفت بى الهمة عن استطلاع آثار

الاستاذ الريحاني فى خدمته للشرق والشرقيين فان القصور لا يتخطى دائرة الكمال.

إن مجمل ما يقوله الخطباء عن الاستاذ الريحانى أنه بين للغرب محاسن الشرق وهذا المجمل وان كان صغيراً فى نظر كثير من الناس إلا أنه فى نظرى كبيرجداً وأنه من الاعمال الجليلة التى يستحق عليها صاحبها أعظم مظاهر الاحترام والتبجيل — إن الغرب قد استهان بالشرق كثيراً وبينه وبين الشرق عداء ولده الطمع والتوسع فى الاستعمار وأن العدو القوى إذا لم يدرك من عدوه الضعيف فضيلة من الفضائل لا يستحى امامه ويتشجع في اذلاله وضعفه أما اذا تبين منه مواضع الفضيلة وان لم تظهر آثارها وأدرك ان فيه قوة كامنة قد يظهرها الاحتكاك استحى عند مواجهته وبرزت منه الحركة العدائية ضعيفة بالنسبة اليها إذا كان معتقداً فقدانه لكل فضيلة. وهنا يعامله مرة بحركة القمع المشلولة ومرة بالمخاتلة والدهاء وتلك حالة كثيراً ما تولد القوة فى نفس

الضعيف فتبعثه على بلوغ أغراضه وتحقيق آماله على هـذا النحو كان يسير الاستاذ الريحاني فيجب علينا ان لا نستهين بهـذا العمل الجليل الذى يعرف شعوب الغرب فضائل الشرقيين — انا لا نتخاطب مع الحكومات فالحكومات لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل وانها لمن عالم وراء العالم الانسانى وانما نتخاطب مع الشعوب وان مثل عمل الاستاذ الريحاني مما يصرف الشعوب عن تقليد الحكومات الى النظر فى الواقع والتفكير فى الحقائق أن الشرقيين كثيرون وقل من الشرقيين فى هذا الزمن من طهره الله من امراض الاجتماع فبرز مجاهداً فى سبيل الله وفى سبيل الوطن لم تلوثه الطبيعة باقذار الوظائف والمنافع الشخصية والمظاهر الكاذبة وان أحسن شىء اكرم به الريحانى أنه عضو حى فى الشرق برىء من الامراض فانه يدافع بنوع من الدفاع عن الشرق والشرقيين وفي ذلك سعادة لمصر لان سوريا شقيقة مصر ولهـا عليها حق الجوار وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان كل انسان يعمل فى إبادة سبيل المذهب

الاســتعماري من الوجود وامانة حكم الفرد والنهوض بالضعفاء إلى المستوى اللائق بهم فانما يعمل على طريق النبيين والمرسلين لان أنبياء الله جميعاً ما بعثوا إلا لتحقيق السعادة العامة وطمأنينة العالم إلا أن السعادة التى جاءوا بها هى السعادة الصحيحة التى لاتعلم إلا من قبل الله تعالى لانه وحده هو الذي يعلم القدر المشترك الذى يتحقق به رضا الجميع فهو وحده الخالق للنفوس والارواح والعالم بما يسعدها ويشقيها ومحال أن يضع العقل البشرى للعالم سعادة صحيحة وان الفتح والاستعمار هما منار شقوة العالم فى الارض ومادام المستعمرون فيها أقوياء فالانسانية شقية معذبة وأن الله ما بعث رسله للعالم ولا أنزل كتبه إلا لمحاربة الاستبداد والمستعمرين فكل من يسير فى طريق الانبياء فهو عظيم ويكفي أن الاستاذ الريحانى بعمله هذا صار من عظماء الرجال والسلام

خطبة أمين أفندى الريحانى

أنا الشرق

أنا حجر الزاوية لأول هيكل من هيا كل الله ولأول عرش من عروش الانسان لذلك تراني محنى الظهر ، ولـكنى قويم الرأى ، ثابت الجنان

أنا جسر الشمس

من أعماق ظلمات الا كوان الى الافلاك الدائمة الانوار تصعد كل يوم على كتفي وتكافئنى مكافأة جميلة

أجل إن فى جيوبى ، وفي يدى ، وفى نفسى من ذهب الفجر مالا نظير له فى معادن الارض كلها

تزودنى الشمس للترحال ، وتزود منى البصر أيضاً والجنان ، وأنا على ثباتى فى رحلة دائمة ، كالـكواكب لا تبصر حركاتها

ان أول القافلة ، قافلة نفسى ، ليتصل بالجوزاء

وان آخرها — لست أدرى اليوم أين آخرها؟

قد يكون واقفاً مستكشفاً فى أبواب ليفربول

أو نائماً تحت عرائش الياسمين فى سمرقند

أو جاداً على ضفاف النيل

أو ضائعاً فى الجادة البيضاء فى نيويورك

ولكننى قنوع رضى ، مطمئن ، لأنى وان كنت لا أرى ساقة القافلة فانى مبصر قادتها

وانى لأسمع طنطنة الاجراس عند المساء

وصوت الرسول يجيئنى كل صباح مسلماً

وفى يده ثوب جديد ألبسه ليومى

نسج من لا ينسج إلا لصاحب الجلال رب الليل والنهار

٢

أنا الشرق

وقد جئتك يا فتى الغرب رفيقاً

فكن صبوراً إذا كنت لا تحسن السكون .

إنى مثقل أحمالا لا تراها العين التى ترى الاقطان وتشتهى

الثروة والجاه ولو رأت عيناك بعض ما أنا حامل لخررت ساجداً ولرحت شاهداً

وفى جيوبى أيضاً وفى يدى أشياء من حقول النفس ومن جبالها ، وأشياء من أغوار الحياة

أشياء ترضى الله ، وترضى الانسان ، وأشياء لا ترضى لا الانسان، ولا الله، منها ما أود نبذه لو استطعت ذلك دون أن أضر بجارى صاحب الجنود والمدرعات ومنها ما أود إخفاءه لو أني لا أستحى من نفسى الباصرة

ومنها ما أود اصلاحه ، لو كان الصناع هذا الزمان ضمير يشفع باليد الرجفة والبصر الكليل

وهناك أشياء يا فتى الغرب ، لك فيها الحبور والسعادة عندى ما يسكن نفسك المضطربة وينعشها. عندى ما يشفى ما فى قلبك من أمراض التمدين ، عندى ما يبعث فيك عدلا يتجاوز استياءك ، وحرمة لما يقدسه سواك

عندى ما يقيدك ، رجلا ويداً ، لتهدأ وتستريح فترى الكون إذ ذاك والعقل منك مطلق والقلب مطمئن ،

وتتأمل كذلك أسرار الوجود

٣

أنا الشرق

لى عروس فى الليل القديم البهيم لا تفارقنى أبداً
ولى أيضاً فى كل يوم بكر من الحسان
تجيئنى ممتطية جواد الفجر
لتخبر البصر منى والجنان
أراها فتهتز جوارحى طرباً
وأرى صباى أمامى يهتف للفجر .

لجلال الفجر الذى يجرى فى النفس مثل سلسبيل فضى فى الجبال فتبدو خلاله الاعشاب الخضراء ، وهى تعانق الحجارة والصخور . فتبعث فيها روحاً يستحيل التجويد عندها نشيد حب وتشويق ، بل نشيد وطن يستفيق

٤

أنا الشرق .
أنا شبح يا فتى الغرب الباسل

شبح فى موكب الزمان — فى موكب الحياة الدنيا

ولكن للشبح صوتاً بل أصواتاً تسمع شيئاً منها اليوم

وستسمعها ملياً غداً

أصوات متضاربة ، متنافرة ، إلا أنها من قلب واحد

لها صدى فى هياكلي كلها ، ولها صدى فى كليات بلادك

صوت يضج فى الخلوات ويتراجع فى الاماكن المقدسة

وصوت يحدو فى الصحراء ، ويعلأ جبال تقواى سكوناً

طيباً

وصوت يهمس فى أذن أدواتك رغبة جديدة مستطلعاً

قصدها ومغزاها

وصوت يتماوج سلاماً على وجه المياه فى الانهر المقدسة

وصوت يحن شوقاً فى ظلال الحرمين

كما أنه يئن ويطن فى المنابر الجديدة منابر الوطن

صوت ينشد « نرفانا » لآلهة من ذهب ذى عيون

من زمرد جاحظ

ويتغنى بـ «كرما» وبالقضاء والقدر في أكواخ البؤس والاثم والشقاء

وصوت يهتف استحسانا في ملاهى بلادك يا فتى الغرب وفى مراقصه

كما أنه يحدث فى قهواتك ، حول كأس من الخمر ، بأحدث رأى علمى فى الجاذبية وبأحدث رأى سياسي فى عصبة الامم

٥

أنا الشرق

أحتمي من العالم بنفسى

أستعيذ من العالم بالله

« أم ، أم : » — الله : الله !

ساعة ، ثم سكرة ، ثم آية

إله عينه سوداء (١) ، وشيطان عينه حمراء (٢) ، وملك عينه زرقاء (٣) ، يلبسون الحياة ويعيدون إلى قديم الحياة

---

(١) الدين (٢) السياسة (٣) الادب

يرقصون فى ظلال البنيان والنخيل

ويحرقون البخور فى هيكل أحلامى

ويهمسون ، وينشدون ، ويصيحون ، طالبين الاطلاق —

الاطلاق — إطلاق النفس والعقل والروح والجسد

يهمسون : « وآهم ، وآهم ، واه » ويرقصون

يصيحون : « لبيك اللهم لبيك » ويسجدون

ثم فى ساحات المدينة يخطبون ، وبالابواق ينفرون

وعلى الثورة يحرضون

« لبيك اللهم لبيك » !

« واذكروا الرجيم الاجنبى وإن كان حاملا انجيلا »

« ولا تخافوه وإن كان حاملا مدفعاً رشاشاً »

« ولا تعاملوه وإن كانت بضاعته هبة »

« واه ، واه ، واه ، »

« لبيك اللهم لبيك »

ساعة من الابتهاج الروحى حول سرير الوطن يتلوها

استسلام طويل تحت عرش الله ساعة ، ثم سكرة ، ثم أعجوبة

أبحث عن ذى العين السوداء ، وذى العين الحمراء ، وذى العين الزرقاء فلا أجدهم بل أسمع ما يشبه أصواتهم فى سراب الـ «كرما» وفى فيافى القضاء والقدر

أنغاماً شجية روحية تذيب الشهوات أشواقاً ، وتحوك للنفس أحجبة من خيوط الشمس وتفرش لها طريق الفرقدين أزاهر سرمدية ولكنى واأسفاه : أستغرب هذه الانغام اليوم ولا أستحبها ، وبالاخص عندما أطالع ، يافتى الغرب ، صحافة بلادك الفضاحة ، التى تنبئنى بما لطياراتك من الصولة والاقتدار

وكيف يمكنها أن تنسف أساطيلك البحرية وتبيدها

٦

أنا الشرق

عندى فلسفات ، وعندى أديان

فمن يبيعنى بها طيارات ؟

أتحسبها سفاهة مني أو تظنها تجديفا ؟
قد يكون ذلك ، قد يكون
أنا نفسي أجهل اليوم صوت نفسي
صوت المجالس ، وصوت المنابر ، وصوت الصحافة
أجل ان لي أيضاً صحافة فضاحة يا فتى الغرب
ولي منابر قد لا ترضى بها آلهة أجدادي
ولكنها منابر جديدة ، حريتها فتاة لا تعرف التمويه
فلا تسمعك بما يسر إن لم تجبها بما تريد
وهناك سر أهمسه في أذنك يا فتى الغرب
ليست الاديان والفلسفات ما تظنها
وليست ما تظن أني أظنها
فلا للحراثة هي ولا للتجارة ، ولا للسياسة ولا للتقشف
إنما الاديان والفلسفات كمصافي في الماء
هي مصافي الحياة تصفيها في الاقل من بعض
الحشرات والجراثيم

٧

أنا الشرق

عندى تذوب الالوان كلها وتمتزج
فتماوج نوراً بعضها فى بعض تحت ريشة الزمان
ألوان الغروب ، وألوان الفجر ، وألوان الليل السرية،
لها كلها أفق واحد عندى ، وبسماء واحدة
من الاخضر الناضر لذى النبوة التى تزرع الثريا بذورها
الى الاصفر الفاقع لذى السر الذى يخلع العذر والعذار
إلى الاحمر القانى الذى ارادته لا تذعن لبشر أو جن
الى الازهر الباهر لخيال يسحر الساحرين بياناً
هذا سلم من النفسيات لا تجده عند سواى
وهناك الارجوان لسفاهة تجلس على العرش ،
والزعفران لمجد هوت عروشه والجلنار يتماوج ظلالا حول
عرش الاهواء والشهوات
والرماد المنتثر لما كان فى سماء الفكر كوكباً نيراً
والاسود القاتم لدمقراطية شابة تحمل عصا التأديب

والابيض الناصع لمصرية تحمل غصناً من النخيل

كلها تمتزج في آفاق نفسي وتذوب في سماء آمالي

وتستحيل خمراً في كأسي

أجل ان خمر الاجيال الغابرة وخمر الاجيال الحاضرة

التي لم يحسن تصفيتها الزمان لتملأ الكأس التي أشربها

كل يوم

فتعيد إلي روح النبوة القديم المجيد ، وتثير في ألم الذكرى

وتجدد في حب الجهاد .



الحفلة السادسة

«فى سراى آل لطف الله الكرام فى قصر الجزيرة»

لبى دعوة حضرة الامير ميشيل بك لطف الله فى الساعة الرابعة من مساء اليوم (١٣ فبراير سنة ١٩٢٢) لتناول الشاى فى قصر الجزيرة نحو مائتى أديب ووجيه من المصريين والسوريين وفى مقدمتهم حضرات أصحاب السعادة والفضيلة والعزة محمد باشا شكري وكيل الحقانية السابق وأمير الشعراء احمد بك شوقى والسيد مصطفى الادريسى والشيخ محمد شاكر ومحمود باشا عزمى واحمد باشا زكى وصادق باشا يحيى وسعيد باشا شقير وحلمى بك عيسي وادوار باشا الياس ويوسف باشا مسره والشيخ الكاظمي والسيد رشيد رضا والدكتور محجوب بك ثابت وطعان بك العماد وحبيب بك دبانه وميشيل بك أيوب وبعض أصحاب

الصحف العربية والافرنجية وكتابها وكثيرون آخرون من رجال العلم والادب وأولى الوجاهة والفضل، وكان الامير ميشيل بك وشقيقاه الاميران حبيب بك وجورج بك يرحبون بالمدعوين ويبالغون فى إكرامهم ومؤانستهم. ولما تكامل عقد المدعوين أخذ مصور اللطائف المصورة صورتهم الشمسية ثم دعوا إلى القاعة الكبرى حيث مدت موائد الشاى وقد حوت كل مالذ وطاب من أنواع الحلوى والفاكهة والخشاف فأموها أفواجا

وبعد ذلك وقف حضرة ميشيل بك لطف الله صاحب الدعوة ورحب بالمدعوين جميعاً لتلبيتهم دعوته وتشريفهم منزله وذكر فضل المهاجرين من الشرقيين الذين يقصدون المهاجر ويستعملون مواهبهم فى طلب الكسب والعلى ولكنهم لاينسون وطنهم بل يعملون على خدمته في غربتهم ويقفون علي ذلك أقلامهم ومجهوداتهم وينشرون فضل الشرق فى الغرب ويحيون لغتهم فيه ويطلعونه على مافى لغتنا الشريفة من علم وفلسفة وأدب، ومن هؤلاء المهاجرين

المجاهدين اثنان يحضران هذه الحفلة معنا الآن فاعرفكم بهما وهما طعان بك العماد وأمين أفندى الريحانى نزيلا أميركا ثم ذكر ما لهما من الفضل والجهد فى خدمة الوطن وما بين مصر وسورية من الاخاء وكرر الشكر للحاضرين

فوقف حضرة طعان بك العماد وشكر آل لطف الله على كرمهم ولطفهم وخدماتهم الجليلة لوطنهم وذكر مصر بالثناء والشكر . وتلاه حضرة أسعد أفندى داغر فانشد أبياتاً كان لها وقع حسن فى النفوس . وخطب حضرة أمين أفندي الريحانى فذكر أن الغرب والشرق لا يختلفان فى الحقيقة والجوهر فالآثار الشرقية والغربية تتشابهان وكذلك فلسفة الفلاسفة فى البلادين وحكمة الشعراء وكل أثر للعلم فيهما وتمنى ان يأتى يوم يتصافح فيه الشرق والغرب وتربط الجميع رابطة الاخاء والحب . وتلا حضرة توفيق أفندى دياب فشكر بلسان المصريين الخطباء على ما أبدوه فى خطبهم من عواطف الحب والاخاء لمصر والمصريين

ثم تكلم بعد ذلك حضرات فرح أفندى جرجس

والدكتور محجوب ثابت ونسيم أفندى صيبعة فافاضوا فى وجوب الاتحاد والتضافر بين الشرقيين عامة ولا سيما بين الشقيقتين مصر وسورية وذكروا أن كل ما تطلبه الامم الشرقية هو أن تنال مقامها اللائق بها بين الامم وتنال حقها الشرعى من الحرية والاستقلال ثم ارتجل حضرة الشاعر المشهور الشيخ الكاظمى قصيدة حماسية بليغة وتلاه سعادة أحمد باشا زكى فشكر لآل لطف الله كرمهم وفضلهم وقال أن هذا القصر بعد ما كان داراً للملوك تحول الى فندق يقصده السياح وقد عاد الآن بفضل آل لطف الله الكرام داراً للفضل ومجتمعاً لملوك الادب القابضين على ناصية الكلام والاقلام

وكان الحاضرون يكررون التصفيق للخطباء والشعراء إظهاراً لاستحسانهم ثم ودعوا وانصرفوا وكلهم السنة تتحدث بما لقوه من لطف حضرة صاحب الدعوة واخويه وكرمهم واكرامهم وما رأوه وسمعوه من جمال الحفلة وبلاغة الخطباء .

خطبة الامير ميشيل بك لطف الله

سادانى

أرحب بحضراتكم كثيراً وأشكر لكم تلبية دعوتى وتشريف منزلى ولما كنتم من خيرة فضلاء الشرق وتقدرون النشاط الشرقي اغتنم فرصة تشريفكم لاذكر بالخير والثناء اخواننا فى المهاجر الذين ركبوا البحار واقتحموا الاخطار فى الاسفار يريدون متسعاً من الحياة وسبيلا للمعاش فلم ينسوا وطنهم ولا أهملوا لغتهم بل شادوا بذكرها وأحيوا آدابها فانشأوا فى تلك البلدان الاجنبية جرائد راقية ومجتمعات سامية وما برحوا يحنون الى الشرق ويتغنون بمحاسنه وبهذه المناسبة أؤدى التحية اليهم في شخص رجلين وجدا الآن معنا فى هذه الحفلة أريد بهما طعان بك العماد من اخواننا فى الارجنتين فانه ترك عائلته وأعماله الناجحة ولبى داعي القومية فحضر إلى جنيف واشترك مع اخوانه في المؤتمر السورى الفلسطينى ممثلا قومه أحسن تمثيل ولا

يزال دائباً على الدفاع عن استقلال وطنه وعن القومية الشرقية . والكاتب الشهير أمين أفندى الريحاني الذى رفع فى أميركا وانكلترا راية الاخلاص للادب العربى والقومية والشرقية فنقل الى لغة الانكليز ما حسن من أدب العرب ونال مكانة عليا فى تقديرهم ثم كانت زيارته لمصر المثل الاعلى للتضامن الشرقي بما أظهره فضلاء المصريين من العطف عليه والاحتفاء به والتقدير لادبه فاظهروا بالدليل الساطع فضيلة التضامن والاتحاد بين الشرقيين من أبناء اللغة مما دل على نهوض الشرق من سباته . والشرق يريد العمل على خير العالم باسره لا ان يقاوم الغرب بل يريد أن يكون صديقاً وان يسير مع الغرب يداً بيد

قصيدة اسعد افندى خليل داغر

يسقيك يا قصر الجزيرة عارض
جود يحاكى من أميرك جوده
ويدوم ظل الانس فوقك وارفاً
والحظ مشتاقاً اليك سعوده

والعز لا ينفك حولك راتعاً
وعليك يرفع رايه وبنوده
والنيل جارك خير جار حافظ
لك حفظ كل ابن لمصر عهوده
وسمى ربك ليس يبرح حارساً
لك مرسلا للذود عنك جنوده
ويظل صفو العيش فيك مخادناً
سكانك المستمتعين رغيده
يردونه عذب الروى فى روضك الـ
زاهى الاغن ويحمدون وروده
روض يصفق دوحه متملياً
رقص الهزار مردداً تغريده
ويطيع أمر أميره مستقبلا
بأريجه العطر الذكى وفوده
ويهزه طرباً قصيدة ناظم
من زهره فى ساكنيك عقوده

بنشيده فى مدح مصر يشنف الآ
ذان والدنيا تعيد نشيده

* * *

لله قصر زاده طول السنا
حسناً وعرض الجاه وشي جيده
وكساه بذل بنى حبيب سؤددا
يبقى ولا يبلى الزمان جديده
يا طالما حدثت عنه وشاقنى
اني اشارك بالعيان شهوده
فوجدت ان النصف لم أخبر به
وعددت مفخرة القصور وجوده

قصيدة الاستاذ الكاظمى

مهما تباعد فهو منك قريب
يوم له بين الضلوع دبيب
فاذا تباعد فالحبيب مبغض
واذا تقارب فالعدو حبيب

لافرق بين المشرقين سوى الذى
يصفو به هـذا وذاك يشوب
كالشمس ما بين الانام مشاعة
ولهـا شروق مرة وغروب
كم قرب القوم اللئام وباعـدوا
حتى استوى التبعيد والتقريب
لا يصدقون وكيف يصدق طامع
يصغى إلى داعي النفاق كذوب
ليس الهوى من كل صب واحداً
إن الهوى للعاشقين ضروب
هيهات يصبينى سوى حرية
يصبو الشباب لذكرها والشيب
يكفى جمالك أنت فيـه يوسف
وكفى محبـك أنه يعقوب
أمنية الشعبين أنت فضيلة
تاقت اليك قبائل وشعوب

حرية الامصار أنت حبيبة　في حبها يستعذب التعذيب
عظمت على قلب المحب همومه　يكفى دلالك أيها المحبوب
فى كل يوم حفلة لك يرتقى　فيها المنابر شاعر وخطيب
لك كل يوم فى المحافل سيرة　تتلى وذكر عن سناك ينوب
يا حبذا يوم الجمال وحبذا　يوم الوصال وأجره المكسوب
يوم يعود به لنا استقلالنا　ويرد فيه حقنا المغصوب
حتام نحتمل المذلة طوعاً　ولنا بآفاق البلاد وثوب
نرجو الحياة وليس يجهل عالم　أن الحياة مصائب وخطوب
لا فاتنا عز الحياة ولا عدت　شعباً تذل بها الحياة شعوب
يا حبذا يوم يروح لنا به　هذا له نغم وذاك طروب

خطبة أمين أفندى الريحانى

يقال فى الشرق والغرب : الشرق شرق، والغرب غرب ولا يجتمع الاثنان، وهى كلمة لا تصح إلا فى مظاهر الاجتماع السطحية التى تزول عند احتكاكها من جهة بالحقائق الاولية الدائمة ومن جهة أخرى بالحقائق السامية الفنية، فاذا

ما تجاوزنا السطحيات إلى ما تحتها مما تربط الامم بعضها ببعض كالشعور الادبى والعواطف البشرية الشريفة ، أو إلى مافوقها من آثار العقل والخيال كالفنون الجميلة والصناعات لوجدنا فى الشرق من الغرب وفى الغرب من الشرق أشياء كثيرة نفيسة ، حيوية ، كأنها من بيتها أصلا ، وفيه

ومن البراهين على ذلك برهان واحد قائم حولنا الآن بل نحن فيه واقفون ، برهان هو الفن بعينه ، بل هو منتهى الابداع فى الفن ، إن هذا القصر الجميل يا سادتى بل فى هذه القاعة الفخمة ليجتمع الشرق والغرب اجتماعا فنياً جميلا لا تناكر فيه ولا تنافر ، فهذه صناعة الشرق وقد تناهت دقة وجمالا تظلل صناعة الغرب وفنونه وقد سمت شكلا وصنعاً وبين الفنين تناسب أنيق جميل بين الصناعتين صلة لا تكلف فيها ولا اجتهاد ، صلة طبيعية يتهادى اليها الجمالان ، وتذوب عندها أطراف السحر والبيان ، أما فى النقش أو الرسم أو التطعيم أو الهندسة

فالغرب والشرق من هذا القبيل صنوان ، وما يصح

فى الفنون والصناعات ، اللهم إذا تناهت إتقاناً وجمالا ، يصح فى العلوم ، وفى الآداب ، وفى الاجتماعات ، إذا تجاوزنا فيها السطحيات ، فالحكيم الهندى والحكيم الانكليزى لا يختلفان وشكسبير والفردوسى اخوان ، والمعرى وملتن وفولتير من أمة واحدة ، أمة النبوغ وحرية الوجدان

ولنا الفخر نحن الشرقيين أن يكون فى زعمائنا اليوم مافى زعمائهم من حب الوطن . ومن البر والكرامة والشمم لنا الفخر أن يكون فى أغنيائنا من يطلبون المعالى بالفضل والاحسان فيبذلون من أقوالهم فى سبيل الوطن والامة ، سياسة ، وأدباً ، واجتماعاً ، وليسمح لى أرباب هذا البيت إذا أشرت الى ما أظنه رمزاً لقاعدة سلوكهم الوطنى الاجتماعى فان طى الفكرة السياسية على ما يظهر لى فكرة اجتماعية قد لا تدرك فوراً ، وهى حرية بالذكر والاعتبار . ولهذه الفكرة فى هذا القصر أيضا رمز جميل بل رمزان نادران عزيزان أولهما هدية الى الخديوى اسماعيل من رأس الكنيسة الكاثوليكية من كبير أسياد المسيحية ، وثانيهما

هدية الى الامراء آل لطف الله من سيد الحرمين من كبير أسياد الاسلام ، من جلالة الملك حسين

فالهديتان وقد اجتمعتا فى هذا القصر الفخم هما عربون عهد السلام الدائم ان شاء الله

بل رمز لما سيتمتع به أجيال المستقبل فى شرقنا خصوصاً من الاخاء الحق والاحترام المتبادل المبنى على العلم والتساهل بل على التفاهم والحب . ولاشك عندى ان حصة المصريين والسوريين من ذلك ستكون كبيرة ، وأود جداً أن يكون الفضل الاكبر فى تحقيقها لاصحاب هذا البيت الكريم بل لاصحاب الرمزين النادرين الشريفين اللذين سيوحيان اليهم ولاشك من الاعمال الوطنية الشريفة بل الشاملة الانسانية ، مايخلد ذكرهم ويجعلهم فى الغرب مفخرة الشرق وفى الشرق أحب الناس وأعزهم عند أبنائه . (١)

(١) بعض خطب هذه الحفلة نقلناها أيضاً عن مجلة سركيس

الحفلة السابعة

« فى فندق الكنتنتال »

لبي جمهور من الفضلاء والأدباء فى مساء اليوم دعوة الوجيه الفاضل طعان بك العماد من آل العماد المشهورين بلبنان ومن كبار الجالية السورية فى الارجنتين الى حفلة شاى أقامها عصر اليوم (الخميس ١٦ فبراير سنة ١٩٢٢) لتكريم الاستاذ الريحاني فى فندق الكنتنتال فكان لهذا الاجتماع مظهراً بديعاً من مظاهر جامعة الادب العربى الذى يحمل الاستاذ الريحانى راية من راياته فيماوراء البحار، بل نفثة من نفثات الروح القومى العصرى الذى إستيقظ فى الشرق اليوم، فأخذ الشرقيون يستشعرون به أن لهم وجوداً وأن لهم كرامة ليعترف لهم عالم الاحياء بهذا الوجود وهذه الكرامة

فبعد أن إجتمع المدعوون فى حديقة الفندق وأخذت

صورتهم تذكاراً لهذا الاجتماع جلسوا حول مائدة الشاى ثم قام صاحب الدعوة طعان بك العماد فتكلم عن نفسه وعن الجالية السورية فى الجمهورية الفضية فرحب بالمحتفل به وأثنى على أدبه الجم وجهاده المزدوج فى تنوير قرائه من أبناء العربية ، وتعريف أوربا وأميركا بروح الشرق التى بزغت مع شمسه وما زالت تتجدد بتجددها ، وكان يتكلم من قلب امتلأ إخلاصاً للغة التى ينتسب اليها ومحبة للقومية التى هو فرد من أفرادها .

وتلاه نجيب بك الهواوينى فخطب فى النبوغ وتكريم النابغين

وقام على أثره توفيق بك دياب فأبدع ماشاء فى بيان إرتباط الامم الشرقية ، ولا سيما الناطقة بالضاد ، وان ذلك من أظهر دلائل الحياة، وما على مصر من الواجب نحو الادب العربى والمصلحة الاجتماعية فى سبيل توثيق هذه الرابطة

ثم قام السيد رشيد رضا فذكر إن من القواعد الطبيعية أن يكون التقارب بين الناس على مقدار مايوجد من وجوه المشاركة وصنوف المشاكلة بينهم ، وإن البلاد التى يتشابه

سكانها بلغاتهم وعاداتهم وآمالهم وآلامهم حقيق أن يكون ذلك سبب التقارب بينهم ، وقد أدركت مصر والهند هذه الحقائق الفطرية فوحد المسلمون والاقباط كلمتهم فى وادى النيل ، وكذلك فعل المسلمون والهندوس فى الهند وقال إن المسلمين لما كانوا أكثر تمسكا بدينهم لم يمنعهم هذا من أن يكون المسجد مدرسة لتلقى علوم الكون يشترك في ذلك المسلمون والمسيحيون والاسرائيليون لا يمنعهم من ذلك مانع ، وقد كان جمال الدين الافغانى وهو من أول من نادى بالاصلاح فى الشرق لافرق عنده بين أديب إسحاق والنقاش والشيخ محمد عبده وسعد زغلول فكلهم كانوا تلاميذه وأنصاره ، بل لم يكن يفرق بين بلاد الشرق فكان يرى أن مصر اذا حملت لواء الاصلاح كان ذلك وسيلة لانتشاره فى سائر الاقطار وختم خطبته بقوله إنى بصفتى سوريا أقول وأنا منكس رأسى خجلا إننا معاشر السوريين كنا أول العاملين لنهضة الشرق فى

الامس وقد صرنا اليوم أول من ضن سبيلها

وقام على أثره منصور فهمى الاستاذ بالجامعة المصرية فقال انه وهو يرى إتحاد السوريين على تكريم فكرة سامية فى شخص الريحانى لا يصدق إن هذه الامة لا تستطيع أن تتحد على فكرة إسمى من ذلك وهى فكرة الوحدة الوطنية والقوميـة ، فالاتحاد هو الذى رأينا نحن فى مصر انه ترياقنا من سموم كثيرة والضماد الذى نلف به كلوماً مؤلمة ، وما صح فى مصر لا يصح غيره فى شقيقتها

وخطب بعده الدكتور محجوب بك ثابت فى موضوع الشرق والغرب وان تضامن الاول من دواعي احترام الثانى له وإعترافه بحقوقه وتخفيفه وطأة سلطانه عن عاتقه، فالارتباط بين الامم الناطقة بالضاد نافع لكل منها ومسهل لها سبيل الوصول الى غايتها ، وأتى على براهين من التاريخ القديم والحديث احتجاجاً لهذه القضية

وختم الحفلة الاستاذ الريحانى بشكر صاحب الحفلة والخطباء والمحتفلين ، وانصرف الجميع لاهجين بما كان لها من التأثير فى نفوسهم . وذاكرين أدب الريحانى وفضله (١)

---

(١) كنا نود أن نجىء بخطب هذه الحفلة كاملة ولكننا حينما طلبناها من الخطباء اعتذروا بانها كانت ارتجالية وكانت بنت ساعتها . هذه معذرتهم ومعذرتنا نقدمها بين يدى القراء

الحفلة الثامنة

أو

حفلة الصحراء

أرسل حضرة صاحب السعادة الاستاذ أحمد زكى باشا الدعوة الآتية الى ثمانمائة من أفاضل المصريين والسوريين وخيرة رجال الفضل والادب :

« أحمد زكى باشا يرجو مشاركته فى تكريم ثالث الثلاثة بعد الجعدى والذبيانى نابغة العرب الجديد أمين الريحانى يتناول الشاى على سماط بدوى فوق بساط الرمل وتحت ظلال الاشجار الحرام التى غرسها الصحابة الكرام فى سفح الاهرام يشرف عليها بلهيث (أبو الهول) الفصيح باشارته البليغ فى صحته القائم على الدوام بحراسة كنانة الله فى أرضه

الملتقى عند محطة الهرم الساعة الثالثة ونصف بعد ظهر يوم الاثنين ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٢ »

وقد أخذ الناس يتهافتون على طلب تذاكر الدعوة الى هذه الحفلة النادرة الغريبة

فلما كان الموعد المضروب أقبل القوم زرافات ووحداناً تلبية لدعوة الاستاذ المحتفل وليشهدوا هذه الحفلة الصحراوية التى أقيمت لتكريم النابغة أمين أفندى الريحانى

شهد هذه الحفلة الشائقة جمهور كبير من كرام المصريين والسوريين وخيرة رجال الفضل والعرفان وقد تجلى فيها مجد الآباء والاجداد ونهضة الابناء. ينظر الواقف فى ذلك المكان الى عظائم أعمال الاولين الممثلة بأبى الهول والاهرام وغيرهما من الآثار الخالدة فيراها تنطق بما كان عليه الشرق من العز والجاه والسؤدد ثم يجيل نظره فى نوابغ المجتمعين فى هذه الحفلة من أولى الحزم والرأى وما أتوه من حماسة وذكاء وفضل فيرى أمماً تسير إلى الامام وشباباً مفكراً

ناهضاً يتحفز ليسترد للابناء ما ضاع من مجد الآباء

كانت تلك الصحراء مزينة أبهج زينة بالاعلام المصرية وقد ضربت فيها المضارب تتخللها الجمال والابقار ممثلة مساكن البدو فى حلهم وبرز الفرسان منهم على صهوات الخيل يلعبون بسيوفهم ويرقصون جيادهم على نغمات الطبل والمزمار ونصب فى صدر المكان سرادق كبير لاستقبال المدعوين ومدت فيه مائدة الشاى حاوية لاطباق الفطير والتمر والحلوى فأموه أفواجا رجالا ونساء يتقدمهم حضرات أصحاب المعالى والسعادة والفضيلة أحمد مظلوم باشا ويوسف سليمان باشا والدكتور محمود صدقى باشا ومرقص باشا سميكة وأحمد بك شوقى وحسن بك مظلوم مدير الجيزة والشيخ أبو الفضل شيخ الجامع الازهر والشيخ بخيت والسيد عبد الحميد البكرى والشيخ عبد الرحمن قراعة ومحمد شكرى باشا وأحمد تيمور باشا وسعيد شقير باشا ونجيب منصور شكور باشا والامراء ميشيل بك وحبيب بك وجورج بك لطف الله وجمهور غفير من المستشارين والقضاة

والمهندسين والاعيان وغيرهم وكان سعادة زكى باشا صاحب الحفلة وبعض المستقبلين من الادباء يرحبون بهم ويبالغون فى ملاطفتهم

وفتحت الحفلة بتلاوة آى القرآن الكريم ثم وقف سعادة زكى باشا فخطب فى الجمهور مرحبا بالحاضرين ومطريا المحتفل به وقال إننا فتحنا حفلتنا بتلاوة آى القرآن تبركا بكلام الله ولما لهذا الكتاب الشريف من الفضل فى نشر اللغة العربية فى مشارق الارض ومغاربها واستطرد إلى ذكر المكان الذى أقيم فيه هذا الاحتفال فقال انه ورد فى القرآن فهو المعني في قوله تعالى أرم ذات العماد فارم هذه لم تكن الشام ولا غيرها من البلاد بل هى الاهرام وكان فى مكان هذا الاحتفال هيكلان كبيران قائمان على أعمدة عديدة فسميت من أجل هذا بذات العماد وتناول كلامه (بلهيث) فقال هو الاسم الاصلى لأبى الهول ولكنه صحف

فصار أبو الهول كما صحفت أرم (١) وعقبه حضرة الدكتور محجوب بك ثابت وتلا قصيدة من نظم سعادة أحمد بك شوقى فقوبلت بالتصفيق الشديد وكان الجمهور يستعيده أبياتها وحيا محمود أبو بكر البطران العربى وهو غلام بدوى فى نحو العاشرة من العمر مصر بأبيات جزلة وخطب حضرة أنطون أفندى جميل خطبة بليغة وصف فيها الصحراء الجرداء والواحة الخضراء

ولحن حضرة محمود افندى عارف منظومة من قامه تلحينا بديعاً حرك أوتار القلوب وأثار الحماسة فى النفوس وأنشد حضرة أحمد رامى افندى قصيدة عصماء قوبلت بالاستحسان الشديد وخطبت حضرة الآنسة مى خطبة جميلة ذكرت فيها فضل سعادة صاحب الحفلة وعلمه وتسامحه

---

(١) نحن لا نرى رأى الاستاذ زكي باشا فيما ذهب اليه من ان المعنى بقوله تعالى إرم ذات العماد هى الاهرام لأن الله تعالى ألفت نظر نبيه الكريم الى ما فعل بعاد وعاد ليسوا بمصر ومن راجع تفاسير القرآن في هذه الآية ظهر له خطأ الاستاذ

وحيت المحتفل به وأثنت على مصر وأهلها أطيب الثناء وأعلنت فضلها على سائر الامصار وكل ذلك بكلمات عذبة جزلة إمتزجت بأرواح السامعين وقوبلت بالتصفيق والاستحسان الشديدين

ولما انتهت من خطبتها قدم البهاسعادة زكى باشا صحفة فيها ثلاث صبيرات وقال إن هذه الصحراء التى لاتنبت الا الشوك أنبتت بوجودكم ثمراً شهياً.

ثم ألقى حضرة محمود أفندى صادق قصيدة عامرة الأبيات إسترعت الاسماع واستعاد السامعون أبياتها طربين بها ووقف بعد ذلك حضرة أمين افندى الريحانى المحتفل به فشكر مصر والمصريين شكراً جزيلا على مالقيه من كرمهم ولطفهم وحفاوتهم وتلا مقالة من النظم المنثور وضعها خصيصاً ليتلوها فى هذه الحفلة فى وصف مصر بين هتاف الهاتفين وتصفيق المصفقين ثم انصرفوا وهم يتحدثون بجمال هذه الحفلة ويثنون على سعادة القائم بها الثناء المستطاب .

قصيدة أمير الشعراء

أحمد شوقي بك

قف ناج أهرام الجلال وناد — هل من بُناتكَ مجلس أو ناد
نشكو ونفزع فيه بين عيونهم — انّ الابوةَ مفزع الاولاد
ونبثهم عبث الهوى بتراثهم — من كل ملُقٍ للهوى بقياد
ونبين كيف تفرق الاخوان في — وقت البلاء تفرقَ الاضداد
ان المغالط فى الحقيقة نفسه — باغ على النفس الضعيفة عاد!

***

قل للاعاجيب الثلاث مقالة — من هاتف بمكانهن وشاد
لله أنت فما رأيت على الصفا — هذا الجلال ولا على الاوتاد
لك كالمعابد روعة قدسية — وعليك روحانية العباد
أسست من أحلامهم بقواعد — ورفعت من أخلاقهم بعماد
تلك الرمال بجانبيك بقية — من نعمة وسماحة ورماد
ان نحن أكرمنا النزيل حيالها — فالضيف عندك موضع الارفاد
هذا الامين بحائطيك مطوفا — متقدم الحجاج والوفاد

إن يعده منك الخلود فشعره باق وليس بيـانه لنفاد
ايه (أمين) لمست كل محجب في الحسن من أثر العقول وباد
قم قبل الاحجار والايدي التي أخذت لها عهداً على الآباد
وخذ النبوغ عن الكنانة انها مهد الشموس ومسقط الآراد
أم القرى إن لم تكن أم القرى ومثابة الاعيان والافراد
مازال يغشى الشمس من لمحاتها في كل مظلمة شعاع هاد
كم من جلائل أنعم لمحمد بل كم لاسماعيل بيض أياد
لولا اهتمامهما لظل الشرق في واد وأبناء الزمان بواد

*
* *

رفعوا لك الريحان كاسمك طيباً ان العمار تحية الامجاد
وتخيروا للمهرجان مكانه
وجعلت موضع الاحتفاء فؤادي
سلف الزمان على المودة بيننا سنوات صحو بل سنات رقاد
واذا جمعت الطيبات رددتها لعتيق خمر أو قديم وداد
يا نجم سوريا ولست بأول ماذا نمت من نير وقاد
اطلع على يمن بيمنك في غد وتجل بعـد غد على بغداد

وأجل خيالك فى طلول ممالك
مما تجوب وفى رسوم بلاد
وسل القبور ولا أقول سل القرى
هل من ربيعة حاضر أو باد ؟
سترى الديار من اختلاف أمورها
نطق البعير بها وعىّ الحادي

* * *

قضيت أيام الشباب بعالم
لبس السنين قشيبة الابراد
ولد البدائع والروائع كلها وعدته أن يلد البيان عواد
لم يخترع شيطان حسان ولم تخرج مصانعه لسان زياد
الله كرم بالبيان عصابة فى العالمين عزيزة الميلاد
(هومير) أحدث من قرون بعده
شعراً وان لم تخل من آحاد
والشعر في حيث النفوس تلذه لا فى الجديد ولا القديم العادى
حق العشيرة فى نبوغك أول فانظر لعلك بالعشيرة باد

لم يكفهم شطر النبوغ فزدهمو ... إن كنت بالشطرين غير جواد
أودع لسانك واللغات فربما ... غنى الاصيل بمنطق الاجداد
ان الذى ملأ اللغات محاسناً ... جعل الجمال وسره فى الضاد

خطبة الشيخ أنطون الجميل

ما أجمل الواحة فى الصحراء!

ما أبهى البقعة الخضراء تبدو بين تلال الرمال الصفراء!

ما أشهى الجزيرة الخضلة تبرز فى الارض المقفرة الجرداء!

الواحة ابتسامة حلوة على محيا الطبيعة المقطب العابس،

هى دمعة ندية تبرد القلب المكتئب اليائس،

هى نجمة لامعة فى جبهة الظلام الدامس،

الواحة يوم فرح فى حياة نسجت أيامها من غوالب الهموم،

هى قوس قزح مسبع الالوان دقت أوتاده على مكفهر الغيوم،

هى ترياق سائغ يشفي من مختلف السموم،

الواحة هى معترك الغايات والاهواء راية المحبة والسلام
هى اللفظة المليحة العذبة بين حوشى الكلام
هى آية الحق والعدل فوق صحب الشرور والآثام .
ما أجمل الواحة فى الصحراء تبرز فى الارض المقفرة الجرداء .

*
* *

هبت رياح الصحراء ، فاستعرت الرمضاء ،
السماء تمطر ناراً والارض تنفث شراراً ،
تجد القافلة فى السير الى الواحة البعيدة ،
القافلة تجد فى السير وقد برح بها الجوع وألهب العطش منها الضلوع ،
الى الواحة البعيدة تتطال أعناق المطايا تحدوها فى سيرها أشباح المنايا
صرع من القافلة واحد واثنان وثلاثة ... فكانت الرمال كفنهم ، والرمال قبرهم : الرمال الناشفة ، الرمال الملتظية
القافلة تجد فى السير : الصحراء تدفعها والواحة تجذبها

فهناك فى الواحة البعيدة ستجد الماء السلسبيل يروى الغليل،

هناك ستلقى الظل الوارف تحت أغصان النخيل ،

الواحة ستجير القافلة من رياح الصحراء واستعار الرمضاء ،

تلك الواحة التى وصفتها بالحقيقة وصورتها بالخيال،

هي أنتم يا خلاصة مدنية المصريين والفينيقيين ممدنى العالم فى غابر الاجيال ،

مدنية الفراعنة ومدنية فينيقية كلتاهما تحدرت اليكم من ثنايا الليالى والايام بعد أن هذبتها آداب النصرانية وعدلتها شرائع الاسلام،

قطرات رشحت من خلال العصور والدهور فتكون منها الغدير ،

حول الغدير نبتت أزهار العلم وبسقت أشجار العرفان.

حول الغدير قامت معالم الحياة تكتنفها مفاوز الجهل.

فكانت الواحة فى الصحراء ،

إلى واحتكم المخضلة يسير الشرق سير القافلة وقد أعياه المسير ،

مشى الشرق طويلا فى أرض التيه قاصداً أرض الميعاد أنهكته وعثاء السفر فتقرست رجلاه واحدودب ظهره وخارت قواه ،

تجرع فى طريقه كؤوس الخيبة ألوانا حتى بات باليأس سكرانا ،

ذر الزمان على مفرقه غبار الفناء ، فترك فى سيره الشاق الطويل كثيراً من الضحايا والأشلاء ،

كان اليأس كفنهم وكان اليأس قبرهم ،

اليأس القاتل كرمال الصحراء ،

ولكن الشرق يرهف غرار عزمه ويسير إلى الواحة سير القافلة ،

الى واحتكم المخضلة يسير الشرق فراراً من رمال الصحراء ،

*
* *

أرهف أذنى فأسمع من الصحراء دبيباً فى الرمال،

إن فى حبات الرمل لنجياً تشعر به الضمائر وتتلمسه الحواس، إن رمال الصحراء لتصطخب اليوم ولا اصطخاب الامواج فى البحار،

كان «أورفه» مطرب الاغريق يرقص الحجارة بنشيده فيشد منها جدراناً،

فأين في الشرق من يضم حبات الرمل يصوغها حجاراً ويقيم منها بنياناً؟

يسير الشرق الى الواحة وأمامه نور ضئيل يبدو حيناً ويخبو حيناً،

ليس هذا النور بالمبيض الحواشى فيصبح فجراً، ولا بالمسود الجوانب فيمسى ليلا،

أهو الشفق مقدمة الامساء والظلام؟ أم الغلس طليعة الاضواء والانوار؟

ليس الجواب فى صدر أبى الهول، فصدر أبى الهول خزانة أسرار،

إن الجواب لفي صدوركم أنتم يامعشر الادباء والاحرار

* * *

الى الواحة البعيدة تسير القافلة فى الصحراء ولكن بين الواحة والصحراء قد يبدو السراب ،

إن السراب لشر ويلات القافلة فى الصحراء ، فهو يضلها الطريق ويوردها موارد الهلاك ،

وكذا بين السعي والنجاح قد يلمع برق أمل خلب فيضل الساعي سبيل النجاح ،

فاتقوا البرق الخلب واحذروا السراب ،

قال المعرى — ومن أجدر بالاستشهاد بقوله من المعرى فى يوم تكريم مترجم المعرى :

وقلت الشمس فى البيداء تبر ومثلك من تخيل ثم خالا
وفى ذوب اللجين طمعت لما رأيت سرابها يغشى الرمالا

* * *

ياصاحب « الخزانة الزكية » يامقيم معالم هذه « الحفلة الصحروية » والداعى إلى « الرابطة الشرقية »

قد جعلت شعار تلك « الرابطة » قولا صار مأثوراً :

« الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف . وما تناكر اختلف »

عمل جسام ندبت نفسك للقيام به وأنت الندب الهمام

إن الاربعين قرناً التي نظرت الى جند بونابرت من أعلى الاهرام تنظر الى عملك وعمل زملائك الكرام

فعسى تلك القرون الخوالى تبرز من قبر الزمان فتصفق لكم يا جند الاتحاد والوئام

ادعوا الشرق الى الوئام والاخاء تكونوا من أدلاء القافلة السائرة فى الصحراء

*
* *

وأنت يا صاحب « الريحانيات » قمت بالأمس باسم الشرق كله منادياً . « أنا الشرق عندى أديان وعندى فلسفات فمن يبيعنى بها طيارات ؛ » كأنى بك دلالا نزل إلى سوق الاجتماع ، يقصد البيع والشراء فما شرى ولا باع

كأنى بك باسم الشرق تنادى

ولى كبد مقروحة من يبيعنى بها كبداً ليست بذات قروح

وبطبيعة الحال .

أباها عليك الناس لا يشترونها ومن يشترى ذا علة بصحيح ؟

ولكن بفضل العلم تنشر رايته ، وبفضل الاخاء تتم آيته ، سيقف الغرب منادياً « عندى طيارات وعندى مدرعات فمن يبيعنى حكمة راقية وفلسفة سامية تنهض بأبنائى من حضيض الماديات ، فان المادة كادت تقتل فيهم الروح » فكن يا ابن لبنان داعياً إلى العلم ، داعياً إلى الاخاء وكن دليلا من أدلاء القافلة السائرة إلى الواحة فى الصحراء.

أنشودة محمود أفندى عارف

يا ساكن الاهرام كلنا نحييك

ساعين عالاقدام قصدنا نرضيك

يابو الهول حكموك ظلم وشوهوك

واليوم نسترضاك ونصالحك تاني

جبنالك م الشام من روضة لبنان

صحبة من بستان زانها الريحانى

عهد صلاح الدين أحييته يا أمين

والسعد عامه حير فرف تانى

الشرق يحييك وسوريا تناديك

ومصر تهنيك وطنك الثاني

فرحانة تقول لك يا ابنى تعا اضمك

شرفت وطنك خففت آلامى

مجدنا اللى راح يا أهل الاصلاح

بالعلم يحيي ويرجع ثانى

اشهد يا اهرام يا مفنى الايام

عهد وايمان ما ارجع فى كلامى

بعد الاربعين أبداً مش راجعين

حتى نعيش حرين ودى كل أمانى

قصيدة احمد افندى رامى

إلى طائر الشام

إني لأخشى أن تموت عواطفي
ويجف ذاك النبع من أشعارى
وتقر نفسى بعد ثورتها فلا
يهتاجها شيء سوى التذكار
وترى مجال السكون عيني خاليا
من بهجة الآصال والاسحار
وأخاف أن يقضى على قلبي الاسى
فيصيبه يأس من الاوطار
إني ليحزنني بقائى صامتاً
ولدى هذا الكنز من أفكارى
وأكاد أندب خاطرى ومشاعرى
وهما الىّ نفائس الأذخار

فى الشعر تأسائى وفيه رفاهتى
والیه أشكو صولة الاقدار
فاذا سكت فقد حرمت شكايتى
ولرب شكوى نفست اكدارى

*
* *

لمن الغناء أقوله فأصوغه
من أدمعى ودمى وطيب سرارى
ومن الذى يوحى الىّ من الهوى
قبس الخيال وصدحة الاوتار
ما أطلق الطير الصدوح بشدوه
مثل انبثاق الزهر والنوار
أو نضر الزرع البهيج زهوره
كالشمس والماء النمير الجارى
أو هدأ البحر الخضم عبابه
كالبدر يشرق باهر الانوار

الحب نبع الشعر منه تفجرت

عين المعانى والخيال السارى

الحب لحن النفس وقعه على

وتر القريض بنان موسيقار

الحب يفسح فى الحياة مراحها

ويحفها ببدائع الآثار

فلرب ساعة خلوة هفافة

طالت عن الاجيال والاعمار

ولرب وجه أبدعت قسماته

أبهى من الجنات والانهار

ولربما فاقت مناجاة الهوى

معنى ومغزى ممتع الاسفار

ولرب ثغر باسم أحيا المنى

وأطارها فى النفس كل مطار

هذا هو الحب الذى اشتاقه

فيهيج ساكن روحى الزخار

ويمدني بالشعر معنى سامياً
ويبث فيـه جلائل الاسرار

*
* *

مالى أريغ هوى يعز وجوده
وهواى حب التسعة الابكار
هذى بنات الشعر توحى صبها
سامى الخيال وثاقب الافكار
فأصوغه فى مدح عاشق حسنها
هـذا الامين لها وللاحرار
ايه بنات الشعر هاتى نغمة
فأصوغ اكليلا من الازهار
هو غرسه وأحب ما يهدى له
ما بث من زهر ومن أثمـار
ياطائر الشام الرخيم غناؤه
أسمعت صوتك نائى الاقطار

ووصفت مجد الشرق فى أيامه
ونشرت ما درجت يد المقدار
وكشفت عن سر الحياة فأصبحت
مجلوة للنفس والابصار
هذا أبو الهول الجليل محدث
بسكوته فى هيبة ووقار
هو رمز مصر وحارس الوطن الذى
أخنى عليه تتابع الادهار
لو كان ينطق رتلت ألفاظه
شكراً كشكر الروض للامطار
فاقبل تحيته فكم من نظرة
جلت معانيها عن الاشعار

خطبة الانسة مى

أيها السادة والسيدات

زكى باشا ظالم ولكننا نسامحه لانه حجة العرب ، بل

هو متيم الشرق بأسره ماذكر هذا الشرق إلا اتقد عاطفة وحماسة وتدفق معرفة وفصاحة كأنه صخرة الكليم بعد الاعجوبة ، أوكأنه تلك الجزيرة المتوارية وراء البحر الاحمر ما كادت تشتعل فيها شرارة الاسلام حتى انطلق أبناؤها يجددون العالم بالحياة وبالعلم وبالجد ، وزكي باشا فوق ذلك مثال جميل للتوفيق بين التعصب والتساهل ، من ذا أمتن إسلامية من زكي باشا ؟ ومن ذا أمنع شرقية منه ؟ ولكن رغم هيامه بقوميته واعتزازه بمدنيته فهو يفتح صدره لجميع الاديان ويقدر القيم من جميع المدنيات ويكبر الذكاء عند جميع الاجناس ، فلاعجب إذاما تفنن حتى فى أساليب الضيافه والحفاوة

لقد أكرمت أيها الريحانى فى المنازل والفنادق والجامعات أما أستاذنا اللوذعي فأراد إكرامك فى هذه المملكة السنية الفيحاء ، تلك اجتماعات كانت قاصرة على جمهور الشرقيين أما هنا فتحاذى الشرقي والغربى كما هو خليق بفكرك الذى لم يقف عند حدود البلدان وكما يليق

بمن كان واسطة التعارف بين باحثى الشرق والغرب كصاحب هذه الدعوة الكريم ، فضرب هذه الخيمة العربية وأقام هـذا المهرجان الجامع بين بساطة البدو وجزالة العباسيين وفى هذه الربوع التى لا تجرأ الاصداء على اقتحامها بل ترتد على حدودها خاشعة — ارتفعت الاصوات للثناء عليك ، وفى هذه الربوع حيث دحر التاريخ جيوشاً وجندل قواداً حللت أنت عزيزاً أعزة من كانت قوته الوحيدة معرفة وسيفه الوحيد قلماً

لقد رأيت من مصر حسن الضيافة وعرفت كيف تشجيها عطور الرياحين ، ولكنك شاعر بلا ريب بما وراء اللطف من تحفز وشجاعة . لقد عرفنا نحن مصر عذبة كريمة أعواماً طوالا ، ثم اهتزت لجأة فبدت ذات هيئة جديدة وجمال رائع وها هى تتخرج منذ ثلاثة أعوام فى مدرسة النخوة والبطولة ، وإذا خفت صوت الرجل فيها لحظة أشارت المرأة ولو من وراء الحجاب ، إلى شرفات العز ورفيع المصاعد

ولقد دفع استبسال مصر فى جسم الشرق استبسالا نجثث وهو يتوهج حمية ويتفجر وطنية ، وبينما هو يحييك لاجل ما أنت ولاجل ما فعلت إذا به يشير بوجوب اتمام العمل المنتظر ، فلا يكفى أنك ترجمت المعرى بل انهض — ولينهض كل ذى صوت مسموع — وقل للغرب ان الامة التى أنجبت المعرى وأمثاله لاتخبو فيها شعلة الذكاء ، انهض أنت وكل ذى صوت مسموع وقولوا للغرب وللشرق جميعاً إننا لا نكتفى بالآثار والاخربة والحضارة البائدة ، بل نريد مع العز العظامى والشرف التالد عزاً عصامياً وشرفاً طريفاً وإذا ذكرت هذه الساعة فاعلم أن زكى باشا لم يفعل فى يوم سوى ما اعتاد المصريون فعله مع نزلاء الشعوب أجمعين ، وإذا ذكرت أبا الهول شعار مصر الخالد فاذكر أنه مهما هبت عليه لفحات السموم وتراكمت حوله رمال الصحراء فهو يظل باسما يرقب فى الشرق فجر الصباح الآتى وإذا ذكرت هــذه الاهرام المنتصبة كالمردة الصامتة فى وجه اللانهاية فاذكر أنك سمعت فى ظلها أهزوجة الحياة ونشيد الامل

وليس هذا نشيد مصر الفتاة وحدها بل هو صوت من جوق تؤلفه الاقطار الشرقية الهاتفة بنبرة واحدة وقلب واحد : أنا الشرق ولى صوت يحدو فى الجبال والقفار فيملأ الجبال والاودية ضجيجا وحنينا : أنا الشرق ، وخمر الاجيال تعيد إلىّ روح النبوة القديمة وتثير عندى ألم الذكرى وتجدد فىّ حب العزم والجهاد : أنا الشرق أول صوت صارخ بوحدة الحياة وإخاء الانسان فلنتقاسم بها الغرب حظنا من الحرية والنور لانى اتخذتك يا فتى الغرب رفيقاً

وكلما ذكرت الشرق وذكرت إكراماً أدته اليك مصر فوحد هنيهة حب الشرق في حب مصر لتهتف بما يهتف به الآن وعلى الدوام : لتحي مصر مصرية .

قصيدة محمود محمد أفندى صادق

مَن مِن الشرق ليس يهدى السلاما

لفتى الشرق حين هبّ وقاما

شاكى العزم راح يخترق اليأ
س بقلب تعشق الاقداما
ليس يثنيه أن يرى الشرق أمسى
خافت الصوت لا يطيق الكلاما
أو يرى الناس لا تزال نياما
وخطوب الزمان ليست نياما
فمشى مشية الكمى ونادى
يا بنى الشرق — يابنيه — إلى ما؟
غربة الدار لا المقام على الضيم
والا خذوا الخدور مقاما
نحن لا نعرف الحياة جموداً
لا ولا ذلة ولا استسلاما
إنما نحن للجهاد خلقنا
نبذل النفس أو ننال المراما

*
* *

ومضى يقطع الفيافى والبحر الى عالم هناك ترامى

حاملا بين جانبيه غراما

أشعلته النوى فشب ضراما

ذا كر العهد تلك شيمة شهم

هزه المجد والعلا فاستهاما

ورأى الغرب ليس يعلم ما للشـ

ـرق وإلا فبصر يتعامى

كيف لا يبصرون والشرق شرق

فسلوهم متى يكون ظلاما ! !

مطلع الفجر والوجود دياجيـ

ـر ومحصى الدهور عاماً فعاما

مهبط الوحى والشرائع لما

بعث الله الوحى والالهاما

ظلموا الشرق ليتهم أنصفوه

لرأوا رحمة وألفوا سلاما

*
* *

يا ابن لبنان قل للبنان يعلو فوق عليائه وأن يتسامى

أنت أفصحت عن شعور بنى الشـ
ـرق وأنطقت فى القبور عظاما
ليس ميتاً أبو العلاء وإن كا
ن بحكم القضاء أمسى رماما
ليس بالميت انمـا هو روح
أيقظ الشرق بعـده ثم ناما
فمن الناس من تراه « أميناً »
وقليل فى الناس يرعى الذماما
نخر لبنان هل ترى ثم روحاً
فوق هذا المكان رفّ وحاما
أتراه يكاد يلهج بالحمد
وقد كاد يستدر الغماما
ويكاد السرور يملأ عينيـ
ـه ضياء وثغره تبساما
ذلك الشيخ لا يزال كريمـاً
وكذاك الكرام تهوى الكراما

يا فتى الشرق كيف أشرق وجه الشـ
ـرق لما رفعت عنه اللثاما
أترى الغرب لا يزال كما كا
ن جهولا بحقنا لوّاما
أم ترى أدرك الصواب من الغـ
ـى فعاف الظنون والاوهاما

*
* *

يا أبا الهول يا رهيب تحرك
قد تخذناك للجهاد إماما
فانفض الارض عن يديك وردد
صيحة الشرق وارفع الاعلاما
وقد الجحفل الرهيب الى المجـ
ـد كما كنت واذكر الاياما
وادع من كان قد أعدك للمجد
ى قديماً ومن بنى الاهراما
أنت لم تنس يا أبا الهول يوماً أن حب البلاد صار غراما

ظامىء أنت من قديم الى المجـ
ـد فيها بنا لنشفى الأواما
قد سئمنا المنام نحن بنى اليـ
ـوم فلابدع ان سئمت المناما
يا بنى الاولين لم يبق شىء
من تراث الجدود حتى نناما
خلفوا المجد فوق هام الثريا
فانظروا هل ترون الارغاما
وحقوقاً عدى الزمان عليها
فغدت نهبة وراحت حراما
لهف نفسى وأى نفس سواها
ليس تشكو لربها الآلاما
يابنى الشرق ليس ينتشل الشـ
ـرق سوى وحدة تكون لزاما
نجمع الشرق لا يكون شتاتاً
ونضم الشعوب والاقواما

هكذا تفعل الشعوب إذا شا
ءت ثباتاً لحقها ودواما
فاعملوا إنما الحياة مجال
يسع الفعل وحده لا الكلاما
واطلبوا الحق فى الحياة كراما
لا عبيداً لهم ولا أنعاما
وإذا ما الحسام جرده العزم فهيهات أن يردوا الحساما

خطبة الدكتور شخاشيرى

«وافدتان»

سيداتى وسادتى

أرى أن فى البلد وافدتين متفشيتين تفشياً هائلا فالاولى مخيفة مروعة وقد مضى على انتشارها زمن بعيد ومصلحة الصحة تقاومها بالوسائل المعروفة لديها من غير طائل فاصابتها تزداد وأعلامها تخفق كل يوم فى كل منزل من منازل القطر والثانية منعشة مفرحة هبطت مصر فى ٢٧

يناير المنصرم وما كادت تطأ أرض الكنانة حتى أثارت فى نفوس أهلها الفضلاء العلماء الادباء الكرماء ثائرة الادب الكامن فى الصدور فذهبت بما يشغل تلك النفوس الأبية من روع المرض ويقلق بالها من جور السياسة المبرقشة وأحدثت فى القلوب هِزة طرب تجاوبت أصداؤها فى الاقطار ورن دويها فى أعماق الشرق المتألم فنهض على قدميه نهضة الجبار ،

الفرق بين الوافدتين واضح جلى ،

رأيت فى الاولى طبيباً مداوياً وطبيباً مواسياً وطبيباً مقاوماً ورأيت المرضى يصيحون الشفاء الشفاء هذا كل ما نريده منكم أيها الاطباء ورأيت السليم ينفر من المريض ولا يقترب منه خوفاً من أن تنتقل العدوى اليه ورأيت الناس هجرت الملاهى واعتصمت بالمنازل احتياطاً من التعرض لأسباب الداء المتوافر وجودها عادة فى مثل تلك الاماكن ورأيت فى الثانية وما أجمل ما رأيت ،

رأيت من الشعور الوطنى المتدفق حياة ما يحى موات

النفس وينهض بها إلى أسمى الذرى رأيت الادب كله يسيل من قلب مصر الخافق فينعش القلوب الصلدة فتدب فيها جميعها حياة الادب رأيت أدب مصر فى كأس قاطرة تطوف الحوارى والمدن والعواصم والبلاد والامم والشعوب فتسقبها جميعها قطرة قطرة ولا ترتوى

رأيت وما أعظم ما رأيت

رأيت العلم والفضل والكرم ، صفات مصر الازلية تذيع مجد أبى الهول الصامت وتنشر حكمته للعالمين

رأيت وما أعجب ما رأيت

رأيت الشاعر يغرد بقيثارته فى سماء خياله يطاول النسر بعزيمته ووثباته فيحلق من مصر الى أرز لبنان إلى أميركا

ورأيت الاديب ينثر علينا من الدرر الغوالى ما يهيج النفس ويشرح الصدر

ورأيت الخطيب يصف لنا الماضى كأنه حاضر ويحضر أمامنا ببلاغته وسحر بيانه صور العصور الخالية فنتعظ بها

ورأيت الريحانى كالنحلة ينتقل من زهرة الى زهرة ومن غُصُنٍ الى غُصُنٍ ومن دوحة الى دوحة ومن حفلة إلى أخرى ،

ورأيته شاكياً ألماً بمعدته وسمعته يقول . معدتى تلفت معدتى تلفت ارحموا معدتى ارحموها ترحمونى فلم ألتفت الى شكواه ولم أعرها شأناً مع عظم اهتمامى بسلامة جسمه النحيل ووجود شروط الوقاية من داْى التلبك وسوء الهضم فى ذهنى بل على طرف لساني قامرت بمعدته وراحة جسمه على حساب المنفعة ،

رأيت فى هذه الوافدة « وافدة الادب » غير مارأيته فى تلك ،

رأيت الناس يتهافتون سراعاً على حدائقها النضرة الزاهية للتمتع بطيب شذاها والاستزادة منها وقد أسكرهم رحيقها

رأيت مصر اليوم فى عرس ترحب بعودة ابنها الشرق ترحيب الام الرئوم بعودة ابنها الضال فصرخت من أعماق نفسى عساك يامصر غداً أن ترحبي وتفرحى بعودة أبنائك البررة

المبعدين المنتزعين عودة الفائزين فيفرح الشرق وتتذمعك وتهتز جوانحه ويشتد ساعده بطربك ونصرك المبين ورأيت الشرق بين ذلك كله يستجمع قواه المتفرقة ويلم شعثه استعداداً للوقوف بين الامم رافع الرأس وكان أرفعها عزيز النفس وكان أعزها مكرم الجانب وكان أكرمها

فى هذه الحفلة البكر وهى خاتمة الحفلات ومسك ختامها أحذركم سادتى إدخال طعام على طعام وأسألكم الاقتصار على لون واحد من الطعام فى حفلاتكم المقبلة وإراحة جسمكم وفكركم بعد كل طعام

أحيي مصر العزيزة فيكم أيها السادة تحية يستخرجها القلب من أعماق الزمان

أحيي أبناءها الكرام طبيبها ومحاميها وعالمها وأديبها وجميع أبنائها الكرام البعيدين منهم والقريبين تحية شاعر بفضلها معجب بنهضتها مؤيد لمطالبها الحقة مفتخر ببطولة زعيمها الأكبر محب لها محبة ثابتة كالدهر لا تتغير

خطبة أمين أفندى الريحانى

مصر

١

مصر هى أكبر الشرقيات الباسمات للدهر ، وهى أحدث الشرقيات الناهضات ،

هى أول من هزت الشمس سريرهن ، وأول من قبلهن الليل على ضفاف النيل ،

هى أول من لعب فى ذرى الصناعة والفنون ، وأول من رقص والقمر تحت النخيل ،

هى أول من بنى كنناً للعلم ، وبيتاً للحضارة ، وأول من شيد للحياة هيكلا وللموت قصوراً .

هى أول من نطق فى قلب العالم كلمة العبادة والابتهال ،

هى أول من أضرم فى ليل الحياة نار الايمان ،

هى أول من نحت تمثالا جميلا ورسم ذكراً وأملا للانسان ،

هي أول من كون من شتات الغيب عالماً حقائقه
أغرب من خرافاته ،

هى أول من نصب للحق الانصاب وأحرق البخور
للخرافات ،

هى أول من شيد للخيال معالم تباهى معالم الحق جلالا
وخلوداً ،

هي أول من حمل ميزان القسط ، وأول من استرق
العباد ،

لها الصولجان المرصع ماساً ولها الصوت الملطخ دما ،
هى أول من قال للموت : لا . وأول من قال للحياة :
نعم —

لها فى الموت حياة ، ولها فى الحياة المآثر الخالدات
هى مصر
آية الزمان ، إبنة فرعون ،
معجزة الدهر ، فتاة النيل ،

٢

هى فى هيكل الحب آلهة تسجد لها آلهة الامم ،

هى فى هيكل الجمال ربة لا تخضع لآلهة الزمان ،

وردخدها من وادى الصفاء ، وزنبق جبينها من جبال البر ، وذهب شعرها من معدن الفجر ، وقرمز فمها من بساتين الخلود ،

هى فى السراديب مشكاة فيها مصباح يضىء ، وهى فى الفضاء نار على علم ،

٣

هى ابنة رموز أسرارهافى فم العاصفة وفى قلب النسيم لهاصوت يهيج حتى النخيل الى الخيال ويبعث حتى فى الرمال شوقا الى النيل ،

هى ربة العشق ، وربة الموت ، وربة الخلود ،

هى مصر

آية الزمان ، ابنة فرعون ،

معجزة الدهر ، فتاة النيل ،

٤

هي فى قلب العالم سيد الايوان الجديد — إيوان البر والحق إيوان الحرية والحجى ، لسانها عربى ، وقلبها شرقى ، وعقلها غربى ،

لها فى ظل الهرم أثر خالد ، ولها فى ظل تمثال الحرية زاوية للحكمة والعدل ،

هي التى شاركت إيزيس هيكلها ،

ورعمسيس عرشه ،

وهي التى تتغنى اليوم بأنغام النور — الذى كلل هذا الصباح رأس أبى الهول. لها صوت سمعته قبل الهرم الصحراء ونسمعه اليوم نحن الواقفون فى ظلال الاجيال التى شاهدها هذا الهرم ،

من ضفاف النيل ، إلى ضفاف بردى ، الى شاطىء الفرات ، الى وادى الكانج صوت مصر يتماوج كالنسيم ، ويزمجر كالرعد ويخترق ظلمات الجمود كالنور ،

إن كلمة مصر لكلمة العرب ، وإن كلمة العرب اليوم لغيرها بالامس ، ولغيرها غداً ، ولكنها أبداً كلمة مصر ، مصر الخالدة ، مصر الفراعنة ، ومصر المماليك ، ومصر « الزغاليل »

كلمة علم تنطق بها مصر تنير مصابيح الهدى فى الامم العربية الدانية والقاصية ،

كلمة عطف تفوه بها مصر تنعش قلوباً خدرها ريب الزمان ،

كلمة حق فى وادى النيل يردد صداها فى الشام وفى بغداد ، بل يتراجع صوتها بين طنجة وسمرقند ، فى كل بلد عربى القلب واللسان ،

آية الزمان ، إبنة فرعون ،

معجزة الدهر ،فتاة النيل ،

٥

حيتنى بغصن من النخيل وبزهرة من السوسن ،

أسمعتنى نشيداً سمعه قبلى كاهن إيزيس وأديب الرومان

وشاعر العرب. همست كلمة فى أذنى ملأت فؤادى من فيضها القدسى — فيض الذوق والشوق والهيام فتحت لى باب خدرها فبهرت نوراً، فسكرت حبوراً،

ذكرت يوماً كان فيه ابن مصر عبد الملوك وهو اليوم سيد تنصت له السلاطين،

ضحكت مصر فى ليالى الغم وبكت فى فجر الابتهاج

وضحكت لضحكها، وذرفت لدمعها الدموع،

ضحكنا سخرية : وبكينا سروراً،

جالستنى مصر، يا فرعون، وهى تذكرك وتقول —

هل كان فى من شيدوا الاهرام رجل واحد حر؟

بسمت لى مصر، يا فرعون، وهى تذكرك وتقول —

هل فى مصر اليوم رجل واحد يطيق العبودية ؟ تبارك أبناؤك يا مصر، وتباركت بناتك الناهضات،

إن فيك ينبوع سر التجديد والخلود

إن سحرك يا مصر ليبعث الحياة فى سكان اهرامك

إن فضلك يا مصر لينطق حتى أبا الهول

إن روحك يا مصر لكالندى فى الاكمام بل كأشعة الشمس تكلل الندى

إن جمالك يا مصر لكالخمر فى كأس من النور بل كالنور يسير على وجه النيل

آية الزمان ، ابنة فرعون

معجزة الدهر فتاة النيل

*
* *

وهناك حفلات خصوصية كثيرة لم يطلع عليها الجمهور ولم يسعدنا الحظ بمشاهدتها وسماع ما دار فيها والرأى الراجح أنها كانت قاصرة على التعارف والتعريف وكان حظ الطعام فيها أكثر من حظ الكلام كما يقولون على أنها كانت فى بيوت السراة ووجهاء القوم نخص بالذكر منها حفلة السيد عبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية والاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق وأميل أفندى زيدان ونجيب بك صروف والدكتور شخاشيرى والحفلة الراقصة فى نادى الاتحاد السورى

هذا وقداهتم جمهور الادباء والوجهاء من السوريين والمصريين فى طنطا والمنصورة والاسكندرية فى أداء واجب الضيافة للاستاذ الريحانى وإقامة حفلات التكريم فاعتذر عن تلبية طلبهم بضيق وقته وصحة عزمه على اتمام رحلته العلمية فى بلاد الحجاز واليمن وباقى بلاد العرب لدرس أحوال تلك البلاد وعاداتها فيدون نتائج رحلته هذه وخلاصة أبحاثه فى كتاب خاص ينشره باللغة الانجليزية ليطلع الاجانب على حالة بلاد العرب النفسية وعاداتها القومية فشخص فى صبيحة يوم الاثنين ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٢ من القاهرة ميمما السويس حيث يبحر منها الى جده فكان فى وداعه على إفريز محطة القاهرة عدد كبير من الوجهاء والادباء وعلية القوم من السوريين والمصريين

وبعد أن وصل مدينة السويس أرسل كلمته هذه يودع بها مصر ويذكر ما لقى فيها من الحفاوة وأنواع الاكرام

فى فجر السفر

«وكنت كمن لم يزل فى حلم جميل ، وكان هواء الليل لم يزل بارداً ، وقد خالطه شىء من فيض الازبكية العطرى ، وكان الفجر مستوحداً فى البلد ، فلا حركة ولا صوت لبشر أو جن ، إلا أن السكون المتشح من الليل أرق الجلاليب وأجملها ، حمل إلىّ صوتاً واحداً خلته بادىء بدء من أصوات الفضل والمكارم التى اعتدتها فى مصر فى عشرين يوماً مضت وجمال ذكرها لن يمر.

سمعت الصوت أولا ثم رأيت أمامى فجأة شيخاً جليلا فى جبة سوداء وعمة بيضاء يتوكأ على عصاه ويسلم سلاماً لا تكلف فيه ولا غرابة . ثم قال — إنى عالم بما فى نفسك ومدرك ما يضيق منك دونه ، أنت الآن ثمل ولا يرجى من الثمل البيان شكراً ومنة ، ولا ينتظر — ولكن فضلك الاكبر ، ولا نبخسك فى الاخلاص حقك ، إنك هاجرت بلادك ولم تهجر قومك ، وكنت فى بيئة لاذكر

فيها لغير الحاضر تذكر أبداً ماضياً مجيداً — ماضى الامم العربية فتقبس منه نوراً تضىء به شيئاً من ظلمات الشرق الحاضرة ، سمعنا صوتك يا ريحاني وشممنا فى مشاعلك رائحة زيت طيبة ، ولكننا سمعنا أيضاً صوت الامة المصرية اليوم ، وتضوع فى أرجائنا من مكارمها نفحات زكيات طيبات ، حياك المصريون ورحبوا بك وأثنوا عليك بل صاغوا لك من معدن القلوب شعراً جميلا ، وأنت — ما عندك مما يصاغ شكراً ومنة ، كشفنا الحجاب وبحثنا فى زوايا النفس فوجدنا فيها آثار شعور بليغة تكاد من شدة الفرح وعجز الافصاح والبيان تتحول كلوماً وتسيل دماً ، والعجز في واحات الحبور أشد المآسى ، رثينا لك ياريحانى وشفقنا عليك ، وقلنا ان بعض ما أنت فيه إنما هو منا ، بل نحن المسؤلون وعلينا حق النجدة

ان المصريين يا ريحانى لأكثر الناس فضلا ، وأكبر الناس خلقاً ، وأجزل الناس كرماً وألطف الناس ذوقاً ، وأرحب الناس صدراً ، وأصفى الناس حباً ووداداً ، هذا كله تعرفه

أنت ويعرفه الناس ، ولـكنك لا تعلم أن فى مصر اليوم ثلاثة جاءوا يحيون المصرين ، بل جاءوا يقرأون مصر سلام من لا تهزهم من الفضائل كلها اليوم إلا واحدة — الوحدة القومية وقد شاهدناها فى أجمل المظاهر فى مصر ، شاهدناها فى مظهر نود مثيله فى كل بلاد عربية

لذلك جئنا نحي عنك مصر ، نحن الثلاثة أصحابك وأصحابها ، فنحن وإن تنوعت المسافات والهيوليات بيننا مقيمون فى نور الوحدة والتوحيد ، ذلك النور القدسى الذى يشع حقاً وعلماً ، وشعراً وحرية . وفناً وسلاماً ، ونحن اليوم مقيمون فى مصر ، نحن الثلاثة ، وأنا أصغرهم وأحقرهم أغتفر لك جهلك. أنا المعرى أبو العلاء ورفيقاى اللذان لا تراهما أمريكا ربة الحرية ولبنان رب العبقرية ، فسر فى سبيلك طالباً العلم ، ناشداً مجد الاجداد ، راغباً بتجديد حياة العرب والعربية ، وكن هادىء البال مطمئن الفؤاد فقد أولتك مصر فضلا جزيلا جميلا ، ونحن نسديها عنك شكراً جزيلا جميلا وان وجودنا فيها ليشفع بعجز فيك »

الآن وقد أنهينا الكلام على حفلات التكريم وحضر معنا القارىء من أول حفلة أقيمت إلى آخر حفلة ختمت بها مجالس الحفاوة والاكرام

وقد شهد قارئنا مشاهد الادب وسمع نغمات الاشعار وما زال يصحبنا حتى جمعتنا محطة القاهرة فى وداع فيلسوفنا العظيم وهكذا أخذ مطالعنا الكريم يتنسم ريح أخبار الشاخص العزيز حتى وافتنا كلمة شكره لمصر والمصريين

وكأننا بالقارىء وقد تاقت نفسه لرؤية المناظر المختلفة والمشاهد الجميلة وإنا آخذون بيده حتى نصل به الى طلبته فنمر به برحلتنا على (مدينة بيروت) آخذين معه بالتجوال بين ربوعها والتمتع بحسن مناظرها وبديع روائها ثم نعرج بقارئنا اللبيب على (وادى الفريكة) مسقط رأس فيلسوفنا الكبير

وهناك نشاهد معاً ما أودعت يد الطبيعة من أودية غناء وأشجار لفاء وجبال تناطح السماء ولا نزال على قدم التجوال والحل والترحال حتى يتم تطوافنا لربوع لبنان وماهى إلا عشية أو ضحاها حتى يجذبنا تيار السياحة فتقذف بنا أمواجه إلى ساحل (مدينة نيويورك) فنجتمع بنبغاء السوريين وعلماء العالم الجديد الذين علا صيت فيلسوفنا بينهم ورفع علم شهرته على نواديهم فنجول هناك جولة هائم ببديع المناظر ونصعد نحن وإياه إلى أعلى بناء هناك فنشرف على الاسواق والسكنات ونتأمل هناك بحر العمران الزاخر والعالم المتكاثر ثم نسرع إلى (جسر بروكلن)فنشاهد ماصنعت يد العلم الحديث وما أوجدت قرائح الرجال ولا يدور بخلدنا أن نغادر هذه المدينة إلا بعد أن نشاهد محاكمة الثعلب على خروجه من دينه وإنكاره كتاب شريعته ورميه إياه بالتحريف والتبديل أمام المجلس الاعلى فى عاصمة (المملكة الحيوانية) ونشهد والقارىء تنفيذ الاعدام فى هذا المقدام هذا وقد أخذنا حظنا من هذه المدينة وطال

الاغتراب فحسبنا أن نرجع بزميلنا تلقاء ديارنا على شريطة أن تكون أوبتنا على طريق من آثارنا فنمر (بسهل الاندلس) الفيحاء فنسمعه هناك شعر النابغين من العرب العرباء، و نذرف دمعة أمام مجد الآباء الضائع وتراث الاجداد الفقيد ولعل أحسن تأسية لنا ولزميلنا أن نتعظ بذلك الدرس الحكيم الذي هو (كبذور الزارعين) ونعرف ان من زرع ورداً جنى منه وليد بذره ومن بذر حنظلا لا يجنى منه آسا وياسمين

ومن هنا يحسن بنا أن نعود بزميلنا الى مدينة الاسكندرية «نيويورك البلاد المصرية» بعزم ثابت ملاحظين أن المسافر هدف المشقة وانتياب (الجوع) ولكن الرجل لا يضيره جوع ساعات أو تحمل المشقات في سبيل أوبته الى وطنه فعساه بعد ذلك يعرف قدر نعمة السعة فيحن للبائس المسكين ويرحم الجائع والفقير ولعل زميلنا بوصوله ثغر الاسكندرية واستنشاق هواء بلاده قد نسى مشقة التعب وارتاح من وعثاء السفر وألم الجوع غير اننا

لا ندعه حتى نقص عليه قصص (هباسيا) المصرية إبنة الفيلسوف ليون فيعلم أن ماراى من حضارة وما شاهد من عمران فى رحلته هذه زاهد يسير بنسبته الى ماضى مدنيته المصرية ثم ننشده بعد ذلك ونحن فى طريق أوبتنا الى القاهرة شيئاً من الشعر المنثور أو الشعر الحر وهو آخر ما اتصل اليه الارتقاء الشعرى عند الاميركيين .

فمن شاء من القراء مشاطرة زميلنا ما رأى وما سمع فى رحلته هذه فليطرق باب المختارات

باب المختارات

« المختارات النثرية »

وصف بيروت

أيها البيروتيون

أقمت فى هذه البلاد بلادنا ست سنوات ولم أستطع قبل الآن أن أقول فى بيروت كلمة حق يرضاها قلب شغف بحب بلاده ولا ينكرها عقل شغف بحب الحقيقة ، نظرت الى هذه المدينة بعين رأت مدن أوروبا وأميركا فاستصغرتها وندبت حظها ثم نظرت اليها بعين شاهدت غيرها من مدن سوريا فأحببتها وأكبرت شأنها ، وأنا الآن ناظر اليها بالعينين فأصفها وأنصفها . بيروت أم البلاد السورية وأمة البلاد السورية . أميرة المدن الأسيوية وأجيرة المدن الاسيوية ، بيروت حسنة من حسنات التمدن وآفة من آفاته ، بيروت

لؤلؤة شرقية فى صيغة من النحاس غربية ، هى خلخال فى رجل سلطانة المشرق عند الصباح ، وأسوار فى معصم ربة المغرب عند الغروب ، هى درة فى أوحال تئن فوقها الكهرباء ، هى مرجانة على ساحل اختلط تبره برماله ولجينه بأوحاله ، ساحل النغولة مهد أم المدن السورية وعرشها ، فم الاتون بيروت ، وافق النور بيروت ومطلع الظلمة بيروت ، عروس الحرية هى وعجوز الحرية ، يوماً تتهادى تحت علم الوطن عفة وكبراً ويوماً تتوكأ على عصاها كيداً ومكراً ، يوماً تلبس الرعاة العتاة إكليلا من الازهار ، تصعر يوماً خدها للظالم وأمام سدته تعفر يوماً وجهها ، بيروت منبر الدستور ومشنقته ، بيروت حسناء النظام وبيروت صخابة الفوضى .

مدينة المدن السورية بيروت ، منبت الياسمين والقلام مغرس الورد والشوكران ، القراص فيها يرفع رأسه عزة تحت أزاهر الليمون ، والعليق يسرح ويمرح فى ظلال النخيل مدينة الدماء مدينة المدن ، مدينة الخلسة والرجاسة ، أخت أورشليم ، روحها تئن فى الازقة ، نفسها تحشرج فى المجارى

قلبها يغرد فى البساتين ، عينها تدمع فى دوائر الحكومة ، جسمها يذوب فى الموبقات ، وعقلها يدق على سندان التفريق فى المدارس ، بيروت إحدى وصيفات باريس ، هى قمر ينعكس فيه نور المغرب فيضيء المشرق وتنعكس فيه أيضاً ظلمة الغرب فتزيد الشرق ظلاماً ، بيروت منبت العلوم ومغرس الخرافات ، هى حقل خصب التربة تزرع فيه أوروبا قمحها وزوانها ووردها وقلامها ومع ذلك نراها سائرة الى الامام ساهرة صابرة ، إذا أقبلت سوريا بيروت أمامها وان أدبرت بيروت وراءها ، إذا كانت اليوم كاذار من السنة تتراوح فى رعدها وبرقها بين الظلمة والنور غداً تصير كايار بل كتموز ، كايار بأزهارها ، كتموز بثمارها ، إذا كانت اليوم أسيرة شياطين التفريق غداً تصبح ربة الالفة والاخاء ، إذا كانت اليوم عرش التعصب الدينى فهى غداً قبره .

مدينة المدن السورية بيروت وأعهامثل مجدها كلاهما عظيم إذا بكت هاج بكاؤها بكاء الامة ، إذا غردت رددت أنغامها بلابل حلب وشحارير الشام وحساسين لبنان وحمام

الجليل . اذا وردت بحيرة الاصلاح « ورد الفرات زئيرها والنيلا » واذا أفسدت أفسدت بناتها في السواحل وعلى شواطئ العاصي والاولي والاردن وبردى ، كلمة باطل تنطق بها بيروت تمسي حجة في دمشق كلمة حق تصدع بها بيروت تروي غليل القرى الظمآنة وتبعث في مدن السواحل والسهول روح الجهاد .

أم المدن السورية هي وعجوز المدن السورية ، تعلم بناتها الفضيلة يوماً ويوماً تعلمهن الرذيلة ، تحمل اليهن نوراً وتحمل اليهن سماً ، اثمها مثل مجدها كلاهما عظيم وأعظم من الاثنين واجب فرضه الله على الامهات ، أحسني القدوة يا بيروت يحسن بناتك الاقتداء ، في المروج والجبال وفي والسواحل والسهول بناتك يستقين من ينابيع علمك وأدبك ، من مدارسك من صحافتك من منابرك من مطابعك ، فصفي مياهاً تسقينها بناتك ، اخفري السبل ، صوني المناهل ، تعهدي المسارب اقطعي يد كل أثيم يشتغل اليوم في تعكيرها أو تخريبها أو تسميمها ، اقطعي الايادي التي تحمل اليها سراً فضول الاديان

وأوحال التعصب وأوساخ سخافات الادب والسياسة ، طهرى ينابيعك ، ارحمى بنيك وبناتك .

أشهد أن لا نور ولا دخان ولا وحول فى سوريا اليوم غير ما كان مصدره بيروت ، وأشهد أن بيروت وجه سوريا وأن الهو تنتوتى فى هذا الزمان يغسل وجهه ، بيروت قلب سوريا ، والعلم يقضى بأن يكون النقل كالقلب والجسم نظيفاً نقياً ؟ ولكن المدينة التى تدعى درة فى تاج آل عثمان هى درة فى أوحال وغبار تئن فوقها وتحتها الكهرباء ؟ وتبص حولها حباحب الادباء .

أوحال وأقذار وغبار فى أسواق المدينة ، وفى آدابها وفى سياستها وفى أديانها ، ودرة العلم ودرة الدين ودرة تاج آل عثمان فى هذه الاوحال والاقذار غائصات ضائعات ، وماذا يزيل الاوحال والاقذار والغبار ؟ لا الصحافة ولا قرض البلدية ولا قصائد الشعراء ولا كلماتى تزيلها ، هذه الاقذار من فضول الاعصر والاجيال ولا يزيلها أبداً سرمداً غير التربية الحقة والتهذيب الصحيح تربية أساسها الشجاعة

والحمية والصدق والنظافة وتهذيب أساسه النزاهة والامانة والاقدام وحب العدل والوطن متى تأصلت هذه الفضائل فى الرعاة وفى الرعيــة وفى السائدين والمسودين تصطلح جادات المدينة وتستقيم جادات الادب والدين والسياسة ، اصلحوا الحياة تصلحوا الحكومة ، اصلحوا الحياة تصلحوا المدينة .

وادى الفريكة

« أو العود الى الطبيعة »

وادى الفريكة مهيب أكثر منه جميل ، هو عميق ملتو ينحدر من قرية صغيرة ليغسل رجليه فى نهر الكلب ، هو صغير ولكنه كثير الزوايا والاسرار يجمع بين الدلب الذى لا يعيش إلا بالقرب من الماء والصنوبر الذى يكتفى بمشاهدة البحر من أعالى الجبال . وفى الشتاء تنثر الطبيعة تحت قدميه أزاهر الدفلى وتكلل رأسه فى الربيع وفى الصيف بأزاهير اللزان ، ومع هذا الجلال والدلال تراه حاملا على منكبيه كثيراً من الاطواد التى تخضع صاغرة تحت قدمى صنين ، نعم ان ملتقى الجبال على منكبى وادى الفريكة هنالك تعانق جبال القاطع جبال كسروان ومن أعطافها تتدفق فى الشتاء المياه التي تجرى فى نهر الكلب ، هنالك تمتد الاعناق وتنحنى الرؤوس وتضغط الخدود بعضها على بعض ،

وفى الصباح قبل أن يغيب القمر وتشرق الشمس تتلألأ فوقها آلهة الحب لتباركها الى الابد: تشرق الزهرة من وراء جبل صنين وترسل أشعتها الباهرة فوق الجبال التى يعانق بعضها بعضاً عناقاً أبدياً على منكبي وادى الفريكة.

فى هذه الوادى من القصور الشامخة والمنحدرات المخوفة والوهاد العميقة والكهوف المظلمة ما لا يرغب الناس فى الانحدار اليه، فهو يقول للفلاح، تعال وفأسك ومنجلك؛ ويقول لمحب الطبيعة تعال بأفكارك وتصوراتك كما تقول الرياض لمحب السرور: تعال بالعود والدن.

فى صباح يوم من الايام التى تقف حائرة بين الخريف والشتاء لبيت دعوة الوادى، خرجت من بيتى بمعطف مشمع وأخذت أقفز عن الربى وأدب من تحت الصخور حتى وصلت الى قلب الغاب نزلت لا تفقد الوادى بعد أن اغتسل بسحابة الخريف الاولى هبطت على عادتى لا ترويحاً للنفس كما يقال بل طالباً الالهام ناشداً الفائدة، نعم أنا أقصد الوادى كما يقصده الفلاح ولكن فأسى ومنجلى يختلفان نوعاً عن

فأسه ومنجله واحمالنا ونحن عائدان تختلف كثيراً بعضها عن بعض ، على أن حطب الغاب يفيد فى هـذه الايام أكثر من حطب الخيال والفلاح هو الفيلسوف الحقيق . ولـكن ذلك قلما يهمنى ، قد انحدرت الى الوادى ووقفت على صخر يشرف على النهر وتأملت فعل العواصف والانواء الليلة البارحة — تلك الليلة التى دخل اله الشتاء بعروسه الطبيعة كيف لا ومياه النهر والسواقى حمراء كالدم . . . وقفت هنالك مبتهجاً فأحسست بأن روحى انفصلت عن جسمى وطارت فوق الاشجار البليلة وفوق الصخور الشهباء في الصيف السوداء بعد الامطار ، طارت وطار معها ماتراكم على رأسى وقلبى من الافكار والخيالات والاماني ، طارت مسرعة صامتة كما يطير السنونو والحسون فى هذا الفصل شعرت بأن روح الوادى تجسدت فىّ وروحى تجسدت فى الوادى ، فأنا إذن والوادى سواء فى نفسى مافيه من الظلال والخيالات والـكهوف ، فى نفسى مافيه من الصخور الشامخة والمنحدرات الهائلة والسواقي الفائضة والانهر الجارية ، فى

نفسى ما فيه من العصافير والجنادب والنسور ومن الهوام والذئاب أيضاً أيها القارىء البعيد القريب .

صعدت قليلا وجلست تحت خرنوبة غضة وتنفست متنشقاً هواء الاحراج المنعش فكاد يكون لنفسى صدى فى حفيف الاوراق فى ظل هذه السكينة يكاد المرء يسمع خفقان قلبه ، وعند توغلى فى الصخر سمعت صوت رفرفة العصافير فالتفت الى جهة الصوت وإذا بسرب كبير من السنونو فر من أمامى ففكرت فى نفسى قائلا : لو كان للطير أن يقرأ الافكار لما كان هذا السرب يفر الآن من وجهى بل كان يجيئنى مغرداً فاقبله ويقبلنى ويسير بعدئذ كل منا فى سبيله ، ولكن اخوانى البشر لم يعودوا الطير مثل هذا والسنونو لم يقرأ شيئاً حتى اليوم مما أكتبه ، الى الآن لا يعرفنى ، وهل يلام على ذلك والانسان نفسه لم يزل يعجز عن فهم ما انطوى عليه الانسان .

السكينة بعد العواصف — أتأملتها فى زمانك ؟ هى عندى نوع من الراحة الابدية ، السكينة فى الوادى تكاد

تكون فى هذا الفصل غير عالمية ، فما أنعشها للنفس وما أجمل وقعها على الاذن والقلب ! ولو جاز أن تقول أن للسكينة ألحاناً وأنغاماً لقلت أنها أشجى فى مسمعى وأبدع من ألحان أمهر الموسيقيين ، وما معنى الالحان التى لا تسبقها وتتلوها السكينة ؟ انها عندى كلا شيء ، بل هى ضجيج مزعج ممل وأما العبير المنتشر فى الغابات بعد الامطار وخصوصاً بعد السحابة الاولى من فصل الشتاء فيحير الكيماوى والنباتى والعطار فما أشذاه وأطيبه وما أبعده وأغربه ! أيفاخرنى الخليع بروائح الحشيش والافيون وحبوب المسك والعنبر وغيرها من « نسخات » المصريين ؟ فوالله إن روائح الغاب والوادى بعد الامطار لأطيب منها شذى وأبعد منها غرابة وأشد منها فعلا فى النفس .

مر علىّ ساعة من الزمن وأنا أتنشق هذه الروائح وأفكر فى الحشاشين والروحيين والبوذيين — فى أولئك الذين يسكرهم الايمان أو الافيون فيرتفعون باحلامهم إلى ما وراء الطبيعة أو ينحدرون الى ما تحتها فنهضت وقد

تخدرت أعصابى من أرج الاشجار الندية وأفيون الارض الندية ونظرت بعين البصيرة الى الافق من خلال الاغصان فتنسمت من الغيوم المتراكمة فيه خبراً وقلت فى نفسى: الى البيت يا ولد الى البيت : فها قد اختبأت فى أعشاشها الطيور وعادت الى أوكارها الحشرات والهوام وعدت نحو حظائرها الماشية ، ها قد انهزمت السكينة أمام الرياح وهبت الاوراق الصفراء البالية من الادواح لتختبىء فى الغياض والادغال ، وأنت — فما الذى يبقيك هنا ، عد الى عشك قبل أن تحاصرك الرياح ، عد الى عشك قبل أن تسل عليك صوارمها الغيوم وتطلق مدافعها — قبل أن ترسل عليك السحب شآبيبها ، فقبلت نصيحة نفسى ونظرت حولى باحثاً فرأيت بالقرب من شجرة صنوبر كبيرة صخراً قد نقرت فيه الديم والاعاصير مغارة صغيرة فتقدمت نحوها ودججت تحت الصخر إليها دجاً ، وتأملت بعد ذلك حكمة الطبيعة ورحمة العواصف والرياح ، لا أيها القارىء ، إن الطبيعة لا تظلم بنيها مهما اشتد غضبها ومهما تعامت فى

مناحيها الهائلة المخوفة ، وأما أولئك الذين يخافون الامطار ويخشون الاعاصير فيتفرجون عليها من وراء الزجاج فذرهم فى نعيمهم يمرحون ، أولئك فقراء الروح لا يدركون الغرض الجوهرى من الحياة الدنيوية ولا يعرفون ما غرب وخفى فيها من اللذات الروحية والجسدية ، كم من مرة سمعت صوت النفس يناجينى قائلا : امش تحت المطر الهاطل وعرض خديك لسهام الغيوم بل لقبلاتها فهى تسيل شوقاً اليك وإذا وجدت نفسك فى الغاب أو فى الوادى فى مثل هذه الآونة فلا تخف على جلدك من الذوبان ولا تهرول الى البيت كالجبان ، بل قل لنفسك مكانك تحمدى أو تستريحى !

افرح بكل مظهر من مظاهر الطبيعة واستفد إن كان عندك ذروة من العلم ، عليك بشجرة وارفة الظلال فاشغل فكرك أو قلبك بشىء تراه حولك ولا تكن من الخاسرين هذه الفرص ثمينة يا صاح وهى أندر من الغراب الاعصم ، ولعلك لا توفق أيضاً الاقتراب من الطبيعة فى شدة غضبها

فى ساعة تهيجها واضطرابها ، فاقترب منها الآن ، تعلم منها الثبات والاخلاص واستمد منها القوة والجلال .

إذا كنت فى سفينة تتقاذفها الرياح من كل جانب وأوشكت تبتلعها الامواج أتضيع وقتك بالعويل والنحيب صارفاً النظر عما يتمثل حواليك من جمال الطبيعة وهولها وجلالها ، لا أقول لك لا تصل الى الله لينجيك من الغرق فى مثل تلك الساعة ولكننى أقول أشكره تعالى أولا وآخراً على أنه جعلك ممن شاهدوا هذا المشهد العظيم ووقفوا هذا الموقف الرهيب ، ألا تظن مشاهدة البحر ساعة هيجانه تساوى شيئاً وخصوصاً إذا كنت فى مركب واقع فى شبك أمواجه الزابدة ؟ هل لنا أن نختبر مثل هذه الاختبارات النادرة كل يوم ، ولنفرض أنى مت فى الوادى تحت الغيث الهاطل ، أوسكنت قعر البحر تحت الموج المتراكم ، أينقص من نفسى الازلية شيء ؟ فعلام الخوف والجبن ؟ أيخشى الانسان ربه ؟ أيحاذر ابن الطبيعة أمه ؟ أتوجس النفس الازلية خيفة من شيء زائل ؟

قد شذبت نصائح القوم ووضعت ما بقى منها فى جيبى وسرت مع نفسى سيراً بطيئاً بعيداً عن طرق الوادى الضيقة بعيداً عن تلك الخطوط الصفراء التى يراها التائه عن بعد فيقصدها ويلازمها مطمئناً ، سرت بين شرايين الوادى وعروقه طالباً فى القلب مركزاً جميلا تزينه ثلاث من أدواج الصنوبر الشامخة وقد تساوت كلها حجما وقداً وجمالا رأيتها واقفة هنالك شبه عرائس خرجن من خدورهن ليدعوني اليهن . وهل تظننى خاطرت بنفسى إذ لبيت الدعوة؟ لا وحياتك أيها القارىء ، فقد خاطرت بشىء من اللحم والدم والعظام التى تقيد النفس . أو ليس من المحمدة أن يطلق المرء للنفس ذمامها مهما كلفه ذلك ؟ أوجه هذا السؤال الى الشعراء لا الى اللاهوتيين . أنا لا أذكر سوى اللذات الروحية حينما أكون بالقرب من الطبيعة . ومتى عدت الى المدينة فهنالك لذات جسدية تنتظرنى . هنالك سرور ينسينى النفس كما ينسينى سرورى الآن سرور الجسد ، وأما الكوارث والحوادث

التي يخافها الناس ويبالغون في التهويل بها فتي جاءت تراني متأهباً تراني دائماً مستعداً الى السفر

الطريق التي اتخذتها الى الصنوبر في الوادي هي الطريق الى الحقيقة في العالم، وعلى من يحب الاقتراب من الصنوبر وتتوق نفسه الى فيء أشجاره وأرضه المفروشة بابره اليابسة أن يخاطر بكثير من الرفاهية التي ألفها، عليه أن يخاطر في الاحايين بحياته — أي بلحمه ودمه عليه أن يمشي بين العوسج والادغال وعلى الشوك والبلان والشيح بين الحجارة والرتم والقيضوم وفوق الصخور المغطاة بالطحلب النامي في ثقوبها الغار والخنشار، عليه أن يدج دجيجاً من تحتها تارة ويقبل شوك القرقفان الذي يعترضه ويشم رائحة الطيون الذي تلتصق أوراقه بثيابه، وقد يقع تارة من صخر أملس ويزلق طوراً على الارض المفروشة بورق الاشجار البالي وبينما هو سائر يسمع الحقيقة تخاطبه قائلة: أنا الصنوبر أيها الشاب الطلق المحيا الرائع الوجه الرقيق العواطف الراسخ في علم السلوك المواظب على سنن الادب والمسامرة، فان كنت تريد

الاقتراب منى – إن كنت تريد الجلوس تحت جوانحى الخضراء المبللة بندى الحب فعليك أن تترك وراءك نعومة المجالس وجمال الترف ورفاهة العيش وبذخه، عليك أن تدوس شوك الخرافة وتمشى بين عوسج التقليد وتقطع أودية الاوهام وتعبر سواقى الحب الكاذب وتتوغل فى الصخور الشامخة وتسقط تارة فى عليق الرؤساء وطوراً فى أدغال الحكام وأحافير الشرائع، وإذا سلمت بعد كل فصعد فى الصخور المعتزة بذاتها المتفردة بعظمتها القائمة على شفر الهاوية من غير أن تشعر بشىء من الخوف والرعبة أو أن يخامرك بشىء من الريب بنفسك، ومتى وصلت الىّ تقيم فى ظلي سعيداً قريباً من الحياة بعيداً عنها فى آن واحد، وتصبح مثل قمة جبل الشيخ لا ملك فيك لاحد من الناس ولا لاحدى الطوائف والاحزاب، تصبح بذلك ملكا مشاعاً للجميع. تبارك من عاش فى ظل الحقيقة، تبارك من ملك نفسه.

حاصرنى المطر فى كهفى الصغير ساعة من الزمن فأخذت

أتأمل أثناء ذلك ما كان داخله من آثار المخلوقات التى سكنته قبلى فرأيت أن الحية كانت تدخله لتغير فيه ثوبها ، والثعلب ليأكل فرخته والضبع ليفترش فيها مائدته ، كيف لا وهذا ثوب الحية البالى وهنا بعض ريش الدجاجة المسكينة وهناك عظم من عظام الثعلب ، وفى السقف والزوايا أنسجة العنكبوت وفيها عشيرة من البعوض وإنى أؤكد أن هذه البعوضة الراقدة الآن فى هذه الخيام النحيفة آمن على نفسها من قيصر الروس فى قصره ، ولقد يستطيع حزاز الصخور أن يفيدنى شيئاً من هذا الباب لو شاء ربك ، لقد يستطيع الخنشار النامى على باب المغارة الباسط جناحه المزركش فوق هذه الاوراق البالية أن يقص علىّ قصة غريبة عجيبة ، فكم من حادث حدث فى جوف هذا الكهف لو كان لجدرانه أن تنطق وتتكلم .

آها على رفيق يشاطرنى الآن هذا المأوى الصغير المعتم البارد — الجميل فى ذاته لا أنكر أن العزلة جميلة ولكن — رفيقاً واحداً لأقول له من وقت إلى آخر أن العزلة جميلة ،

فقد تاقت نفسى وأنا بالقرب من الطبيعة الى نفس بشرية أخرى تربى بما فيها من القوة والضعف ما خفى من قوتى وضعفى ، تأملت وأنا فى هذه المغارة ما فى الطبيعة من القوى الكامنة ومن الهول الراقد تحت ستار السكينة والجمال ، فجرنى الفكر الى الهيئة الاجتماعيـة الحاضرة الواقفة على شفر هاوية فتن لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، جرنى الفكر إلى ستار الـكذب والتصنع والاحتيال الذى يسدله ذوى الغايات النفسية على الحقيقة الى القوى الكامنة فى الشعوب المظلومة الى الهول الراقد تحت ملاءة من الخوف والخمول — إلى الخير الكامن فى الافراد الغيورين على الحقيقة الجريئين فى الذب عنها ، ومهما اشتدت الاضطهادات على ذوى الافكار فهم لا يحرمون كوخاً يلتجئون اليه ، تضربنا الطبيعة باليسرى وتعيننا باليمنى ، تعد لنا المغاور لنلتجئ اليها حينما يشتد غضبها الاعمى ، وإذا حملقت فينا الهيئة الاجتماعية وكشرت عن نابها ففى زوايا الارض وأطرافها نفوس حرة سامية تنعشنا بطيب شذاها ، وتجدد فينا حرارة محبتها الحماسة والنشاط

وبعد أن وضعت حرب الرقيع أوزارها أشرقت السماء قليلا فظهر شيء من نور الشمس من خلال الغيوم والاغصان وحول نقط الماء المتجمعة على الاوراق الى نثرات من الفضة وحبات من اللؤلؤ الثمين ، وأخذت إذذاك العصافير تطير من غصن الى غصن ومن صخر الى آخر ساكتة خائفة ، وهكذا تفعل بعد الامطار والعواصف فهل هي تشعر مع الشاعر بلذة التأمل الذي توجبه السكينة ؟ أتمثل الآن دور الفيلسوف بعد أن مثلت دور المنشد المطرب ؟

في مثل هـذه الساعة ـ ساعة السكينة والهدو ـ لا تتوق النفس المبتهجة الى الشمس ونورها ولا تشتاق الى بهائها وحرارتها ، في مثل هذا الوقت من السنة تلذ لي الغاب ويبعدني الوادي عن الاوراق والـكتب ، تلذ لي الغاب وما فيها من السلوى والالهام والراحة ، تلذ لي ظلمتها وظلالها، سكينتها وصخورها وأشجارها وأدغالها ، أشواكها وأزهارها نعم ان صوت الغيث الهاطل على الاشجار جميل فهو يضرب علي أغصانها وأوراقها فيخرج منها أنغاماً وألحاناً مطربة

مدهشة ، ولكن السكينة التي تتلو العواصف أجمل في أذن النفس وأطرب .

صوت الاوراق الصفراء التي تقع متناثرة الى الأرض من ثقل ما عليها من الماء ، أو صوت نقطة ماء تقع من ورقة خضراء حية على ورقة يابسة ميتة ، أوصوت فأس الحطاب بين أشجار العفص والسنديان ، أو أصوات الاولاد الذين يؤمون الوادى والغابات طالبين الحلازين — هذا كل ما تسمعه فى الغاب بعد العواصف والرياح ، وهو جميل لانه قليل فى كثير .

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوّت انسان فكدت أطير

صحيح ما يقال من ان الرياح والأعاصير تضر بمصالح الناس ولكن أمن أجل الانسان ومصالحه الزمنية المادية خلق الله كل شئ ؟ هكذا يقال فى التعاليم الدينية ولكن الطبيعة تقول غير هذا القول ، ويظهر لى أن الأعاصير تعوّض أضعافاً على الانسان فالذى تأخذه من ملكه الخاص

تعيده الى ملك الطبيعة والخسارة لا تكون الا نسبية ، وهذا ظاهر لكل الذين وصلوا بترقيهم الروحى العقلى الى درجة يتم فيها امتزاج الروح البشرية بروح الطبيعة الشاملة وهؤلاء القلائل لا يفقدون شيئاً أزلياً ولا يكسبون شيئاً زائلا ، لأن الطبيعة بما فيها هى أبداً لهم وهم أيضاً لها على غابر الدهر .

السير فى شوارع المدن الكبرى يذكر الانسان بالانسان . وأما السير فى الوادى أو الغاب فيذكر السائر بالخالق العظيم ، الأول يدعو الى العمل والثانى الى التفكر والتأمل ، في الاول بعض اللذة التى يتبعها الاعياء والقنوط وفى الثانى نوع من اللذة الذى يتبعه النشاط والعزم وحسن الآمال ، يمشى المتنزه فى شارع من شوارع باريز أو نيويورك فيدهشه ازدحام الناس وتنقبض نفسه من الضجيج ويتبلبل فكره مما يراه وراء زجاج النوافذ الكبيرة من مصنوعات الانسان ومن التحف والعاديات ، ويمشى ابن الطبيعة فى في الغاب بين الادغال وتحت الاشجار والادواح فتنعشه

روائح الصنوبر ويسكره أرج الارض الذكى الممتزج بروائح القوّيسة والبطم والغار ، فيخرج من بيت أمه وقد ملئ نشاطاً وعزما وسروراً وبالأخص اذا كان معها فى ساعة تهيجها ، يخرج اذ ذاك وهو شاعر بأنه يستحق ان تعامله الطبيعة معاملة مثيل لها بل معاملة أحد أعضائها المتساوين أمام الناموس الشامل الدائم الذي لا يبطل من أجل الاغنياء ولا يلغى من أجل الملوك والامراء .

وهكذا خرجت من الوادى بعدان قضيت فيه بضع ساعات خرجت بعدان تصفحت فصلا طويلا من كتاب اميرة المنشئين وربة الكتاب



فوق سطوح نيويورك

دخلت ذات يوم مصعد احدى بنايات نيويورك الشاهقة فرفعني الخادم فى أقل من دقيقة الى الطابق الاخير منها — الطابق الخامس والعشرين — ومن هناك أخذت أدور صاعداً درجاً من الحديد لولبيا حتى وصلت الى قبة البناية العظيمة — قبة تكاد تختفي بين الغيوم فى النهار، وتضيع بين النجوم فى الليل. قبة ترتفع بين أبنية نيويورك العالية ارتفاع هذه فوق بيوت الفقراء الحقيرة. ومن هناك يشرف المتفرج على مدينة نيويورك العظمى وينظر اليها نظرة الطائر، ولكن يجب عليه قبل ان يرى أسواقها المزدحمة أن يطل من حالق على سطوحها المشتبكة بأسلاك البرق والتلفون المغشاة بالدخان المتصاعد من المداخن ومن آلات سكك الحديد الجارية فوق الاسواق.

وبعد ان وقفت فى القبة بعيداً عن ضجة الأشغال

وحركة التجارة وصياح باعة الجرائد وضوضاء الارتال، والمركبات تنشقت الهواء النقى، الذى يندر فى البيوت والأسواق، تنشقت منه مقداراً وافراً وسرحت نظرى فيما تحتى من السطوح وما فوقها من المداخن التى يتصاعد منها الدخان على الدوام فى النهار وفى الليل، تخيل لى ان هذه المداخن أفواه براكين هائلة تنذر بقدوم انفجار عظيم، فكأنها أيادى أولئك المعدنين السوداء مرتفعة نحو السماء ليصرف الله عنهم البلاء، وكان الدخان المتصاعد من أناملها هو الفائض من دخان الظلمات التى يسكنها المعدنون ويحفرون فيها ساكتين صابرين، ألوف من المداخن تنفث فى وجه السماء روحها الغازى، رافعة الى الخالق احتجاجها على القائلين بحركة العمل المستمرة، بالحركة الدائمة التى لا يتخللها راحة ولا هدوء، تأملت هذا الدخان ملياً ونظرت فى تكوينه وأشكاله، فى اجتماعه وتبدده، فى صعوده وسقوطه فى انسلاله وهجومه، فرأيت هنالك أشباحا وحشية ترتفع تارة وتنخفض أخرى وتهجم على الهواء

هجوم الزابع فى الفضاء فكأنها تريد افساده بنفسها الغازى القتال ، هى أمواج بخارية تتلاطم وتنتفخ وتتبدد فى الجو ، هذه تشبه حية تنساب وتختفى وتلك تشبه جاموساً يشول برأسه وينطح بقرنيه السماء فيعود منهزما مسحوقا متبدداً فى الفضاء .

أغمض الطرف قليلاوعد معى الى عالم التجارة والعمل ألا ترى لتلك الأشباح والهيئات المرعبة أمثالا فى الهيئة الاجتماعية . ألاترى كيف هذا الجاموس فى البورص ينطح تلك النعاج الصغار فيقتلها ، ومن ثم ينطح خالقه فيقتل نفسه ألا ترى تلك الحيـة فى الهيئة الاجتماعيـة تنفث سمها فى الاخوان ولاتلبث ان تنفدقوتها المميتة فتتلاشى كما تتلاشى أمواج الدخان ، أترى هذه المداخن فوق هذه السطوح ؟ لينفذ بصرك فى الضباب المتصاعد منها فترى ماوراءها من الشقاء والبلاء ، من الويل واللأواء ، ان وراء هذه المداخن وان شئت فقل تحتها ألوفامن الارواح البشرية التى تضرب بالمعاول تحت الارض اثنى عشرة ساعة كل يوم فالدخان هو

روح الفحم الذى يحترق فى الالوف من الا كوار والمواقد الآن ، ومع الفحم أيضاً تحترق أرواح أولئك الرجال والأولاد الذين يعدنون فى ظلمة قتالة لا يدخلها الهواء ولا النور ولا الماء الا بالطرائق الصناعية فهم يستخرجون الفحم وهم يحملونه الى الأرتال التى تنقله الى المدن والقرى ، هو عملهم المقدس الذي يحترق الآن أمامك ويذهب أدراج الرياح ، نعم ان نتيجة عملهم للعالم عظيمة ولكنها لأنفسهم عقيمة ، هى كالدخان الذى يتبدد الآن تحت عينيك .

لا بد لنا من الفحم فى الوقت الحاضر ولكن أيبطل فى المستقبل استعماله ؟ ان كثيراً من البيوت الآن تستعيض عنه بالغاز للطبخ والدفاء وبعض شركات السكك الحديدية تستخدم عوضه الكهرباء ، نعم قد تنفد المعادن يوما من الأيام فيحرر المعدنون من العبودية التى لا مثيل لها حتى فى العبوديات القديمة — العبوديات التى أبطلت بحد السيف وسفكت من أجلها دماء الأحرار .

لا يمضى شهر الا ويحدث فى معادن الفحم فى هـذه البلاد وفى غـيرها كوارث تقضى على مئات وألوف من المعـدنين بالموت السريع ، فكم مرة انهالت الأرض على أولئك المستعبدين وهم على أشغالهم تحتها مكبون قانعون فأيمت ألوفا من النساء ، ويتمت ألوفاً من البنين ، فضلا عن استخراج الفحم فانه تمثال الموت التدريجى البطىء ، فكل معدن يموت بحكم الطبع منتحراً ، اذ ليس الانتحار محصوراً بتجرع السم وباستنشاق الغاز وباطلاق المسدس ، لا ، الرجل الذى يضطر ان يشتغل مع بنيه الصـغار تحت الأرض فيحرم الهواء النقى والنور وجمال الفضاء لا يموت أبداً موتاً طبيعياً ، والهيئة الاجتماعية التى لا تقوم الا بشقاء فئة من بنيها هى هيئة مظلمة مختلة ، هى هيئة فاسدة تفتقر الى كثير من الاصلاح والتعديل والتحسين ، قد تقدمنا على ما يزعم بعضهم فى الحضارة والتمدن ، وقد حررنا على ما نعلم العبيد وأطلقنا الحرية فى بلاد الغرب لـكل امرىء فقيرا كان أو غنياً ولـكن العبودية الجديدة تظهر فى مظاهر مختلفة وأثواب

غريبة فماذا ينفع السجين قولك له : أنت حر ، ماذا ينفعه تغيير ثوبه المخطط بثوب الرجال الاحرار اذا ظل راسفاً فى سلاسل الحديد مسجوناً في غرفته المظلمة ؟

قد تغيرت القيود وتنوعت السلاسل واستبدل النخاسون بغيرهم ، تعددت الأسباب والموت واحد ، ان فى الولايات المتحدة من العبوديات أنواعا وأشكالا ، فهناك العبودية فى المعادن والعبودية فى آبار الغاز والعبودية فى معامل الأنسجة وفي عالم العمل على الاطلاق ، فمتى يا ترى يتحرر الانسان حقاً وتشمل السعادة والراحة كل أسرة بشرية ؟

كفانا تأملا فى المعادن والمداخن والدخان ، لنعد الى عالم التجارة لنسقط الى ساحة الجلبة والحركة والضوضاء ها قد صرت فى الشارع أسمع باعة الجرائد ينادون على جرائدهم : أخبار أخيرة ! أخبار مهمة ! فابتعت نسخة من جريدة المساء وعدت الى البيت تحت ضباب الفكر وبين

دخان النفس ولهيبها، فجلست الى الكانون وقرأت الخبر الآتى:

« اضطراب هائل فى البورص وسقوط عظيم فى الأسهم! قد بلغت الخسارة فى ساعة واحدة خمسين مليون دولار بسبب سقوط الأسعار الفجائى »

خمسون مليون دولار تخسر وتكسب فى هنيهة من الزمن وألوف من المعدنين يضربون بالمعاول عشر ساعات فى النهار ويخاطرون بأرواحهم وأرواح بنيهم فى الظلمات الكالحة تحت الارض من أجل دولار أو دولارين! ما أجمل هذا العالم ياصاح، وما ألطف هذا التمدن الحديث الذى يأتينا فى كل شارقة وبارقة بمثل هذه الغرائب الخارقة

من على جسر بروكلن

أحبك يا نيويورك على ما فيك من حركة وضجيج وازدحام ، أحبك على ما فيك من غريب الخزعبلات والاوهام أحبك وإن كنت لا تحفلين بما يحلمه شعراؤك من جميل الاحلام ، أحبك لا من أجل ملاهيك الحافلة وحدائقك الزاهرة وصروحك الشامخة ومتنزهاتك الفسيحة الباهرة ولا من أجل بناتك النشيطات الجميلات أو نسائك المترجلات بل أحبك من أجل جسرك العظيم فقط ، ذلك الجسر الذى يراه المرء فى الليل عن بعد وقد أضىء بالانوار المتنوعة الالوان فيظنه القسطان ، ومحبتى لهذا البناء الحديدى العظيم محبة الصانع لشىء جميل يصنعه ، أحبه كأنه ملكى الخاص ، أحبه كأنه صنعة يدى ، وكلما داهمتنى جيوش الهموم واليأس سرت الى الجسر وحصنت هناك نفسى ، هناك أنصب خيامى وبين أبنية المدينتين أرفع علمى ، وأجيش من النور

والهواء جيشاً جراراً فتبدد أمامه غيوم الغم ويذوب ثلج الاكدار ، فأقف إذذاك منتصراً والهواء البارد النقى يورد خدى ، أقف فى منتصف الجسر فوق المراكب والبوارج الجارية تحتى وبين العربات والارتال المارة عن يمينى وشمالى وأتهلل بفوزى المبين — بفوز النفس على الهموم المحدقة بها — على الرزايا التى تغشيها ، لا جرم أن من يقطع الجسر ماشياً كل يوم يستغنى فى حياته كلها عن الطبيب والكاهن والمحامى — يستغنى عن الطبيب لان الهواء النقى والمشى هما الطبيبان الحقيقيان ، يستغنى عن الكاهن لان المشى يساعد على التأمل والتأمل يسمو بصاحبه الى ما فوق السفليات ويعقد بين خالقه وبينه ذلك الاتحاد الذى تتوق اليه كل نفس بشرية سامية ، ويستغنى عن المحامى لان النفس اذا استحمت كل يوم فى نور الشمس وانتعشت من نسيم الصباح وناجت فى الفجر خالقها يتولد فيها للخصام كره شديد.

ألوف من الناس يقطعون الجسر كل يوم ولكن كم هو عدد من يمشون ولا يخاطرون بأنفسهم فى الارتال

المزدحمة ؟ عددهم أقل من عدد الحكماء فى العالم ، على الجسر طريق رحبة خاصة بالمشى وطريقان ضيقتان لسكة الحديد والمركبات الكهربائية واذا اعتاد جمهور الناس أن يعبر الطرق الضيقة فى الحياة ترى الارتال أبداً مزدحمة وطريق السير الواسعة أبداً مهجورة .

قطعت الجسر ماشياً على عادتى ذات يوم من أيام الشتاء الشديدة الرياح الكثيرة الامطار ، فكم من شخص تظنني صادفت فى طريقي ؟ رجلا واحداً وبوليسيين ، أما البوليسان فلا فضل لهما فى قيامهن هناك ولكن الشخص الآخر جدد فىّ الرجاء ، ما أجمل المطر على الجسر وعلى النهر تحته وما أقبح قعقعة المركبات والارتال وقد شحن فيها الناس كالمواشى ما أشق هؤلاء الناس . ما أثمن أوقاتهم وما أرخص حياتهم ما أعظم أشغالهم وما أصغر أعمالهم ، هم يخافون على جلودهم من الامطار ولكنهم لا يخافون على رئاتهم من جراثيم الملاريا والسل ، يهربون من الهواء النقي ومن تحت سماء الله الواسعة لان ذلك تستوجبه التجارة ، يكرهون المشى لانه

مضر بأشغالهم فبئس الارباح ونعم الخسارة ، يرى السائر على الجسر أن الطريق الجميلة الرحبة قد خصصت به وبقليل من مثله فاذامشى هناك يقدر أن يرفع يديه الى العلا ليمجد خالقه دون أن يسىء الى أحد ويقدر أن يتنشق الهواء مليا غير ممزوج بهدروجين البشر .

ولكن لننظر فى المسألة من وجه آخر ، لو كان كل من يقطعون الجسر حكماء تهمهم صحتهم أكثر من تجارتهم لازدحمت طريق المشى الرحبة وأصبح هواؤها كهواء الارتال سبحان من دبر الامور ؟ فالطرق الفسيحة جميلة لان عابريها قليلون ، لتزدحم الناس مع جراثيم الملاريا والسل إذن وأنا أمشى مع اخوانى وان قل عددهم على طريق الجسر المتنكب عنها وتحت سماء الله .

وفى مثل هذا اليوم وقفت على الجسر بعد الغروب بنصف ساعة وسرحت نظرى فى مرفأ نيويورك الواسع المستدير الجميل — المرفأ الذى لا يخلو دقيقة واحدة فى النهار أو الليل من البواخر والقوارب والمراكب واليخوت

بواخر قافلة وسفن حافلة وقوارب راسية وزوارق تشق العباب ذاهبة جائية وهناك فى جنوب المرفأ ترفع الحرية رأسها قائمة على أركانها لتضىء العالم الجديد بضوء نبراسها ، رأيتها تلك الساعة تشعل مصباحها فى الوقت الذى ظهر فيه البدر من وراء مدخنة فى مدينة بروكلن تخيل لى أن تمثال الحرية محطة للقمر على الارض يصل اليها نوره فتعكس الاشعة بعد أن تجتمع على وجهها الجميل وتذكر العالم الجديد بثبات هذا الكوكب القديم ، فقلت فى نفسى : متى ياترى تصير الحرية مثل هذا القمر فتوقد مصباحها لا فى الغرب فقط بل فى الشرق وفى الجنوب وفى الشمال — فى العالم بأسره ؟

متى تحولين وجهك نحو الشرق أيتها الحرية ؟ متى يمتزج نورك بنور هذا البدر الباهر فيدور معه حول الارض ويضيء ظلمات كل شعب مظلوم ؟ أيتأتى أن يرى المستقبل تمثالا للحرية بجانب الاهرام ؟ أيمكن أن نرى لك فى بحر الروم مثيلا ؟ أممكن أن يولد لك أخوات فى الدردنيل وفى بحر الهند وفى خليج الصين ؟ أيتها الحرية ! متى تدورين مع البدر

حول الارض لتنيرى ظلمات الشعوب المقيدة والامم المستعبدة؟

وأنت أيتها البواخر المقلة إلى أوروبا ومصر وعدن والهند منسوجات «نوانكلند» وقطن «فرجنيا» وحديد «بنسلفانيا» وقمح «تكساس» وخشب «فرمنت» خذى معك الى بحر الروم وبحر الهند والبحر الاحمر والبحر المتوسط بعض موجات من هذه الامواج التى تغسل أبداً قدمى تمثال الحرية، خذى معك ولو زجاجة صغيرة من هذا الماء المقدس ورشى منها سواحل مصر وسوريا وفلسطين وأرمينيا والاناضول، وإلى كل جزيرة تمرين بها وكل بلاد تقصدينها وكل شعب تحيي سواريك قباب كنائسه ومآذن جوامعه، احملى سلام هذه الآلهة التى تنير الآن طريقك فى الخروج من العالم الجديد وتوكل بك ما لها فى السماء من شقيقات باهرات، احملى الى الشرق شيئاً من نشاط الغرب وعودى الى الغرب بشىء من تقاعد الشرق، احملى الى الهند بالة من حكمة الاميركان العملية وعودى الى

نيويورك ببضعة أكياس من بذور الفلسفة الهندية ، اقذفى على مصر وسوريا بفيض من ثمار العلوم الهندسية ، واقفلى الى هذه البلاد بفيض من المكارم العربيـة أيتها البواخر الآيبة حيى عن جسر بروكلن خرائب تدمر وقلعة بعلبك واقرأى اهرام مصر سلام هذه المعالم الشاهقة المشعشعة بالـكهرباء . سيرى أيتها السفن بسلام وارجعى بسلام .

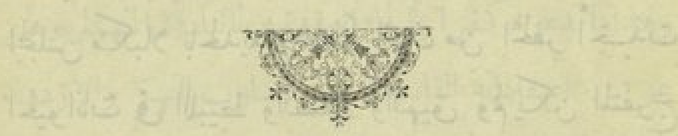
*
* *

وقد شاهدت الآن ثلاثة مناظر عظيمة لا أقدر أن أنساها حياتى ، لا أتناساها لانها عندى أشبه برموز جميلة لدعائم الحياة الروحية الثلاث هى مراحل فى رحلتى الفكرية التى باشرتها منذ خمس سنين ـ أو من حين ولدت ، نعم إنى طفل في العالم الروحى ، إنى سائح فى مروج النفس وأوديتها ، أمامى مسافة طويلة يجب أن أجتازها وتحتى هوة هائلة يجب أن أسبر غورها ، وفوقى فضاء غير متناه ينبغي لى أن أتمتع بجماله ، وحولى من المروج والجبال والانهر والبحار مايشغل معظم وقتي لو عشت ألف عام .

أما المناظر الثلاثة التى تمتع بها طرفى حتى الآن فتركت أثراً عظيما فى نفسى فهى لبنان وسواحله من ذروة جبل صنين وباريز من على برج إيفل ونيويورك فى الليل من منتصف جسر بروكلن ، فالاول إنما هو رمز الطبيعة والثانى رمز الفنون الجميلة والثالث رمز الكد والاجتهاد ، وهذى هى دعائم الحياة الروحية الثلاث ، فالمنظر الاول صنعة الله ، والمنظران الآخران صنعة الانسان ، المنظر الاول أو الطبيعة هو منبع النفحات الالهية والالهامات الروحية والمنظر الثانى أو باريز هو منبع التفنن فى الصناعة على الاطلاق . والمنظر الثالث المنبسط أمامى الآن إنما هو عنوان الجهاد والجلد والثبات والنجاح فاذا كنت أيها القارئ شاعراً أو مصوراً أو كاتباً بل لو كنت صباغاً أو دباغاً أو اسكافاً وجه نظرك إلى الطبيعة أولا تستمد منها الالهام الالهى وعنها تقتبس الالوان البديعة والمناظر الجميلة والأشكال الأنيقة والنغمات السماوية وعرج على باريز ثانياً تتعلم منها دقة الصناعة ولطافة الاسلوب وجمال الفنون

وغرابة الابداع وسر الابتكار وانزل على نيويورك ثالثاً تأخذ منها الاجتهاد والجلادة وتتعلم من أهلها الاستقلال في العمل والثبات بعد الفشل . الطبيعة — التفنن — الاجتهاد — هذي هي أس الأعمال الفكرية هذي هي دعائم الحياة الروحية.

لبنان ـ باريز ـ نيويورك ـ في الاولى روحي، وفي الثانية قلبي، وفي الثالثة الآن جسدي .



فلتكمل مشيئة الله (١)

في اليوم الثالث اجتمع الحصان والبغل والحمار في ديوان التفتيش وأمروا باحضار الثعلب المتهم بالكفر والالحاد الى المجلس كي يسمع الحكم الذي أصدره القضاة الثلاثة وكانت قضيته قد اشتهرت فسمع بها القاصي والداني من جميع الحيوانات فحضر منهم عدد غفير الى المجلس ليروا الثعلب المتهم ويسمعوا تلاوة الحكم المخيف ولما دخل الثعلب المجلس مكبلا بالحديد ومحاطاً باثنين من الخفر أخذت الحيوانات في اللبيط والصفير والنهيق ولم يكن المتفرج

(١) نقلنا هذا الفصل عن كتاب (المملكة الحيوانية) وقد وضعه فيلسوفنا ليبرهن على فساد الدين المسيح في نفوس الناس وكتب العلماء وان ما وضعته الكنيسة من الطقوس والنظامات انما هو من عمل شياطين الانس لا من وحي الله وان العداوات التي بين أرباب المذاهب انما هو من زيادات حملة الدين في الدين ولو رجع الناس الى مذاهبهم الاصلية التي وضعها الله لهم لكانوا عباد الله اخوانا

ليسمع إلا كلمات يفهم منها الصلب والشنق والحريق ،،
فليمت الثعلب ! فلتسقط الكهربائية ! فليحي المجلس !

الحصان : يأمركم المجلس بالنظام وينهاكم عن المظاهرات والصفير والنهيق اسمعوا قراءة الحكم الذى أبرزه المجلس بصوت حى فاستتب عند ذلك السكوت وبدأ الكاتب بقراءة مايلى :

،، قد ظهر للمجلس وتحقق للمستنطقين . أولا — أن للثعلب اعتقادات خصوصية شريرة تخالف تعالم جمعيتنا المقدسة وتناقض شريعة الله التى أقامنا عليها أمناء وأوصانا بها وهذا ما ندعوه كفراً والحاداً ، وقد تبين ثانياً — أن المتهم لم يبرهن عن اعتقاداته الفاسدة إلا بأسلوب التهكم والازدراء والاستخفاف إذ كان يتكلم عن القضايا المقدسة بالهزء والسخرية وهذا ما نسميه تجديفاً ، وثالثاً — أنه لم يجاوب على سؤالات القضاة إلا بعد أن سيم العذاب الاعتيادى والغير اعتيادى وهذا ما نعتبره تمرداً وتكبراً ، ورابعاً أنكر على القضاة السلطة واحتقرهم وأهانهم بالقائه عليهم سؤالات ليس من شأنه إلقاؤها وهذا ما نعده وقاحة وفضولا ولذلك

قد التأم المجلس فى جلسة سرية وتفاوض الاعضاء فى أمر المتهم وأبرموا الحكم الآتى : بقوة السلطة الروحية المعطاة لنا نحن أعضاء مجلس التفتيش نحكم على الثعلب أولا بالفضول والوقاحة وثانياً بالتمرد والعصيان وثالثاً بالتجديف ورابعاً بالكفر والهرطقة والالحاد وعقابه على كل واحد من هذه الجرائم هو كما يلى — قصاص الذنب الاول هو أن تغصب من الملحد كل أملاكه وتضاف الى أملاك الجمعية المقدسة وعقاب الذنب الثانى — أن يبقى تحت الحرم سنة كاملة والثالث — أن يلقى فى السجن خمس سنوات وأما عقاب الذنب الرابع — فهو الاعدام بالنار وقد حركت أعضاء المجلس عاطفة الشفقة والرحمة فعزموا على نقض الحكم بالاعدام إذا أنكر المتهم اعتقاداته الخبيثة الشيطانية المضرة واعترف بشرائعنا واعتذر أمام المجلس عن كل كلمة وقحة فاه بها أثناء المحاكمة ، أما الذنوب الثلاثة الاخرى فعقاب المتهم عليهما ثابت كما ذكرنا تأديباً للكافرين المارقين والمتمردين المجدفين ويسأل المجلس الثعلب أمام الجمع عما إذا كان يريد أن يرجع عن غيه ويكفر

عن ذنوبه بانكاره كل اعتقاداته الخبيثة ويعترف بتعاليمنا كى يعفى عنه من الموت ، ولما انتهى الكاتب من قراءة الحكم عاد الحصان إلى السؤال قائلا : هل تريد أن تفعل ذلك ؟ فأجاب الثعلب بدون تردد : ,, هل تريدون أن أشترى حياتي بضميرى؟إنى لا أرى نسبة بين الثمن والمشترى اطلبوا منى غير هذا ،

الحصان : تذكر أنك رب عائلة فلك زوجة وأولاد يشق لاشك عليك فراقهم ألا تعرف بأنك تجلب الى عائلتك التعاسة والشقاء إذا أنت لم تنكر اعتقاداتك الخبيثة ؟ ألا تعرف بأنك مديون لأولئك الصغار أولادك فلا تكن لهم مثلا رديئاً وقدوة قبيحة؟تأمل قليلا أعد نظرك على هذه المسائل الخطيرة لا تكن أحمق متمرداً إذ أن هذه الصفات السافلة لا تكسبك شيئاً وشكاسة أطباعك تفضى بك إلى النار ، فنسألك الآن ثانية هل تريد أن تنكر اعتقاداتك وتعتذر عن وقاحتك وتجديفك وترتد الى اعتقادك الأصلى الذى نشأت عليه وورثته عن أجدادك ؟

الثعلب : أنتم أيها القضاة المحترمون الافاضل أحوج في رأيي الى الانكار والاهتداء مني فأنتم في عيني كما أنا في أعينكم فاذا طلبتم مني انكار اعتقادي تجعلون لي حقاً بأن أطلب منكم انكار اعتقادكم واذا تركتموني وشأني أتركم وشأنكم فلم تحكمون عليّ بالاعدام وأنا لم أرتكب قط ذنباً لماذا أعطاني الهي عقلا ووهبني قوتي الحكم والتمييز ألكي أقتلهما وأعيش من أجل بطني فقط أيعطي الله العصفور جناحين ثم يهلكه إذا طار بهما أيعطيني عقلا ثم يهلكني إذا استخدمته للافتكار والتأمل؟ لا شك في أن اعتقادي هو أرسخ في قلبي من اعتقادكم في قلوبكم ومتى أنكرت وجود الخالق أنكر إذذاك اعتقادي وأقر لكم بتعاليمكم الخرافية فأنتم أكرهتموني فاعترفت بما لا أعترف به إلا بعد العذاب الأليم اضطررتموني الى انكار وجود الله وأنا لا أنكر إلا إلهكم أجبرتموني على انكار الكتاب بكامله وأنا لا أستهجن إلا ما جاء فيه من الخرافات والخزعبلات تقولون إني أنكر العجائب وأنا لم أنكر ولم أثبت ولكن لكم الامر وعلى

الطاعة أما ما تطلبونه الآن فهو أكثر مما أطلبه من نفسى لا يا أسيادى إن الحياة التى تريدون قتلها بخسة جداً بالنسبة الى الضمير الذى يحيا سعيداً شريفاً طاهراً أن هذا الجسد لا يساوى ما تطلبونه منى أنتم ، تطلبون قتل ضميرى ليبقى جسدى حياً وما نفع الجسد بلا ضمير فأنا أفضل أن أرى نفسى فى النار المستعرة على أن أرى ضميرى مكبلا بسلاسل العبودية ، خذوا جسدى واتركوا لى ضميرى

الحمار : أيها الثعلب المسكين اسمع صراخ زوجتك .. ترأف على أولادك . . . اشفق على نفسك . . . إن الحياة عزيزة والهلاك الابدى فظيع مرعب فاحفظ الأولى واتق الثانى ... احفظ حياتك بكلمة واحدة ... انكر اعتقاداتك وعش مع زوجتك وأولادك سعيداً

الثعلب : لا تزدنى من هذه الارشادات فقد عزمت على أن أموت من أجل اعتقادى كلمات الأسد على الصليب

من أجل دعوته خذونى الى النار وألقوني فيها فأستريح من هذه الحياة وأفرح بالآخرة

الحصان : „ إذن أنت تأبى الانكار وترفض الاهتداء فلا حول ولا . فالمجلس إذن يبعث بك تحت الحفظ الى أصحاب السلطة المدنية لينفذوا فيك حكمه المبرم ،،

وتبوأ عندئذ الحصان كرسيه وأمر الكاتب بأن يأخذ قرطاساً وقلماً ويكتب مايلى :

إلى الثور قاضى قضاة الحكومة المدنية :

إن مفتاح السماء يستنجد سيف الدولة فالثعلب الواصل اليكم قد حوكم فى مجلسنا على اعتقاداته الشخصية الخبيثة المضرة بتعاليمنا ووجد بعد المخابرة والاستنطاق أنه ارتكب الذنوب الآتية : اولا : الوقاحة والاستهزاء ، ثانياً: التمرد والمكابرة . ثالثاً : التجديف . ورابعاً : الكفر والهرطقة والالحاد وقد رفض أن يهتدى وينكر اعتقاداته الشيطانية مكفراً بذلك عن ذنوبه القبيحة وفضل أن ينفذ فيه حكم المجلس الذى هو كما تعلمون الاعدام فى النار

فأملنا أن تستخدموا القوة المعطاة لكم لتنفيذ حكم المجلس وفى كل الاحوال أن مفتاح السماء يستنجد سيف الدولة

الداعون لحضرتكم

الحصان الحمار البغل

أعضاء مجلس التفتيش

ولما فرغ الكاتب من كتابة الرسالة قدمها الى المجلس فوقع عليها كل منهم بامضائه وسلمها الحصان مختومة الى الخفر قائلا : خذ الثعلب تحت الحفظ الى السجن وسلم هذه الرسالة الى صاحبها فنحن والحمد لله قد تممنا وظيفتنا ونقدر أن نقول براحة وسرور وضمير مستقيم „أننا أبرياء من دم هذا الصديق „. فلتكمل مشيئة الله

الحمار : وسيرى الثعالب أى منقلب ينقلبون

البغل : فلتكمل مشيئة الله „

وانفض المجلس عندئذ وخرج جميع الحيوانات متهللين فرحين وهم ينتظرون أن يشاهدوا عن قريب احراق الكافر المسكين

أما الثور فانه عندما وصله الكتاب فضه وقرأه ثم

صادق عليه وناوله للجلاد ليعمل بموجبه وأعطى الثعلب فرصة عشرة أيام ليتفكر فى أمره لعله يرتدعن غيه وينكر اعتقاده وكان الثور يذهب كل يوم الى الثعلب فى سجنه ويحاول اقناعه ولكنه لم يظفر بأرب إذ أن المحكوم عليه بقى مصراً على عناده متشبثاً بآرائه ومحافظاً على ما كانت تدعوه اليه استقامة ضميره التى أفضت به الى الموت احتراقاً وبعد أن مضت المدة المعينة وجاء صبح اليوم الحادى عشر ذهب الجلاد مع أعوانه الى الساحة العمومية فى المدينة وأضرموا هنالك ناراً متأججة وجاءوا بالمحكوم عليه راسفاً بسلاسل الحديد محاطاً بالخفر وأوقفوه على دكة عالية تشرف على النار المضطرمة بالقرب منها وكانت الحيوانات قد ازدحمت فى الساحة العمومية ومن جملتهم الحصان والحمار والبغل الذين أتوا ليروا هذا المشهد المرعب ويلتذوا بثمرة أعمالهم الصالحة ولم يكن بين كل هذه الخلائق المحتشدة ثعلب واحد لان الحكومة كانت قد اتخذت كل الاحتياطات لمنع المظاهرات الثعلبية وأعلنت أنها تستخدم القوة فى هذا

اليوم لقمع كل عنيد مكابر يحاول أن يثير الخواطر ويدس الدسائس ، فبقيت الثعالب فى بيوتها واحتملت المصيبة بقلب مملوء من الخوف والحنق

وكان السرور والابتهاج يشملان كل الجماهير المحتشدة إذ أن أكثر الحيوانات كانوا يكرهون الثعالب الكافرة ويعتقدون بأن وجودهم مضر بالصالح العمومى ، فشكروا المجلس الذى أصدر الحكم والقاضى الذى صادق عليه وجاءوا الآن ليسدوا شكرهم الجزيل الى الجلاد الذى ينفذه

فوقف إذذاك الجلاد بالقرب من الثعلب على الشرفة وحلق له شعره وعصب عينيه بمنديل وخاطبه قائلا

أسألك لآخر مرة إن كنت تريد أن تنكر اعتقادك وترتد عن غيك مهتديا إلى الصواب فرفع الثعلب يده إلى السماء وقال « اسأله عز وجل ولا تسألنى ».

الجلاد : لا تريد أن تنكر اعتقادك إذاً

الثعلب : إنى أموت لان الحيوانات نيام أما أنتم فستموتون لانهم سيكونون أيقاظاً

إذاً بالسلطة المعطاة لى من الثور قاضى القضاة وبموجب الامر الذى بيدى أرمى هذا الثعلب الكافر فى النار لتطهر جامعتنا وتنق آدابنا من سفاهات الزندقة التى تشوهها وعند ذلك رجع الجلاد إلى الوراء وأخذ الحبل الموصول باللوح وشد به فانسحب اللوح من تحت أقدام الثعلب ووقع فى النار المستعرة تحته فصرخ إذذاك الجلاد قائلا (فلتكمل مشيئة الله) فكان لصرخته صدى تصاعد من بين الجمع الذى هتف مردداً ،، فلتكمل مشيئة الله ،، فليمت كل كافر فليحيى البغل والحمار والحصان ،،

أما الثعلب فلما انسحب من تحت أقدامه اللوح ووقع فى جوف النار المستعرة صرخ صرخة مرعبة هائلة وكان لم يزل مالكا على عقله عند ما هتف الجمع المحتشد ،، فلتكمل مشيئة الله ،، فحركته عواطفه الفطرية لتذكر خالقه فهتف معهم بصوت يخنق اللهيب (فلتكمل مشيئة الله) وبعد مضى برهة من الزمن أصبح الثعلب رماداً فسرت الحيوانات وصعد بعدئذ الحمار والبغل والحصان إلى الشرفة ليشكروا

الله ويتوسلوا إلى العزة الالهية كى تساعدهم دائماً على استئصال شأفة كل كافر ملحد ولم يكد الحصان يلفظ اسم الخالق حتى حدث فى الجو اضطراب عظيم فاكفهرت السماء وهطلت الامطار وتساقط البرد كالحجارة وجالت ريح عاصفة فى أرجاء الفضاء تجر وراءها البرق والصواعق وبقى هذا الحال مدة نصف ساعة فوقف الجميع مرتعشين خائفين ثم انقشعت الغيوم وظهر من ورائها الاسدرا كباً أوتومبيلا كبيراً فوقف فيه وخاطب الحصان والحمار والبغل قائلا : ,, أطلب رحمة وليس ضحية قلت لكم حبوا أعداءكم قلت لكم لاتدينوا لئلا تدانوا قلت لكم مثلما تريدون أن يفعل الغير بكم افعلوا أنتم بهم أيضاً قلت لكم لا تقتلوا بأى جسارة ترتكبون هذه الجرائم الفظيعة ومن ثم تقولون أنها من أجلى أى متى قلت اذبحوا واحرقوا اخوانكم من أجلى ؟ بأى كتاب قلت عذبوهم واطردوهم واحرقوهم واسجنوهم من أجلى ؟ أما والحق أقول لكم أنكم دنستم اسمى وافتريتم علىَّ وأفسدتم تعاليمى ويل لكم من العقاب الشديد الصارم

ويل لكم حين تقفون يوم الدين لتجاوبوا عن كل جريمة ترتكبونها باسمى من أجل مطامعكم وغاياتكم الذاتية !،، فتشجع عند ذلك الحمار ونفض عن جسمه غبار الرعشة وخاطب الاسد بصوت خافت قائلا : ألم تقل لنا ،، أما أعدائى الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فآتوا بهم هاهنا واذبحوهم قدامى ،، فصرخ الاسد إذذاك صرخة مرعبة قائلا :: هذا كذب باسمى وافتراء على فأنتم أفسدتم تعاليمى ونقحتموها على ما يوافق أذواقكم ويساعدكم على نيل مطامعكم ، بأى جسارة تضيفون عليها هذه الآيات الشيطانية فكيف أقول لكم حبوا أعداءكم ثم أناقض نفسى بنفسى وآمركم بذبح أعدائى ؟ الحق أقول لكم أن جرائمكم عديدة وويل لكم فى الآخرة فاذهبوا من أمامى ولا تتجاسروا على تكرير هذه الاعمال الفظيعة ،، وتلبدت إذذاك السماء بالغيوم وغاب الاسد فى أوتومبيله عن الابصار

أما الحصان والبغل والحمار فذهبوا الى اصطبلهم منكسين وجوههم خاسئين وبينما هم سائرون ذات يوم على طريق السكة الحديدية إذ صفر قطار العلم القائد عربات البخار الكهربائية والاختراعات ومر عليهم جميعاً فسحقهم سحقاً وتطايرت رؤوسهم وبقايا أجسادهم فى الجو وتشتتت أعضاؤهم المتقطعة على طريق التمدن الحديث .

بذور للزارعين

ان حسنة واحدة تأتيها، لخير من ليال بالصلاة تحييها

ان الأمين وان كان كنوداً، لخير من المدغل وان كان هجوداً.

ان التعبد لفى الصالحات، لا فى تمتمة الصلوات.

ورب صغار يلعبون، أصدق ايمانا من شيوخ يتورعون.

ورب محسنة فى موبقات الوجود، أصح ديناً من راهبات السجود.

ورب كافر عمال للخير، أحب الى الله من راهب فى الدير.

السالكون عملا وفكراً، خير من السالكين ذكراً.

أنت السالك. يامن تطابق بين أقوالك وأعمالك.

الندامة حباً بالغفران، كالاحسان حباً بالشكران.

وقد قال بلزاك — الندامة الشهرية ، انما هى خيانة أبدية

المواساة ، خير العبادات، وممرضة تضمد جرح الشريد خير ممن يصلون من أجله .

ان روائح الأدوية عندمن أحبت ان تخدم الله لاذكي من رائحة البخور ، والنور الضئيل المنبعث من عين المريض الذابلة لاجمل من نور الشموع فى الهيكل .

بالاعمال لنخدم الله ، ولنسبحه بالاعمال .

*
* *

اذا تخاصم من أصدقائك اثنان ، لاتسبق فى الاصلاح بينهما الزمان ، فهو للعداء ، خير دواء ، وان عاقبة الاسراع فى وصل حبـل الوداد ، هى غالباً كعاقبة الجرح المنـدمل على فساد .

*
* *

شر الاصدقاء صديق لا يعتـبرك من أكفائه ، فان ظن نفسه أكبر منك يهينك فى حبـه وتقلبه ، وان كان أصغر منك يغيظك فى تودده وتحببه

من نهج لحاجاته المادية وغاياته الدنيوية منهج التدين والورع الكاذب والرياء والتنطع كان بعيداً عن الدين وعن الله بعد هذه الارض عن أبعد السيارات من الشمس

الدين الحقيقي ما أنار القلب من الانسان والضمير فيهديه فى الحياة الدنيا خير طريق الى خير الأبواب فى الآخرة ، ومتى كان ضمير جارى كنور الشمس حياً نقياً وقلبه كوردة تفتح في الفجر لتستقبل ندى السماء لا فرق اذ ذاك عندى ان ذكر مع الدراويش أو سجد مع اليسوعيين أو اغتسل فى نهر القنج مع البوذيين ، فهو المؤمن الحقيقي ، هو الصادق فى دينه ، هو رجل الله الأمين

* * *

من أجلّ ما قرأته فى الكتب المقدسة فاتحة القرآن فهى صلاة جديرة بأن يرددها بقلب حى كل انسان كل يوم فى السنة

« اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم » — أى والله فان الانسان وان كان من أرقى

البريطانيين أو من أرقى العثمانيين ان كان من باريز أو كان من نيويورك أو من اطنه أو من داهومى هو فى أشدحاجة الى الهداية اليوم مما كان فى أيام النبى داود ، أو فى عهد عاد وثمود

*
* *

قل تبارك السر الذى فىّ ولا تحفل بضجيج الناس وضوضى الأمم ، عش قنوعاهادئا ساكتا معتزلا وواظب على نظافة العقل والقلب كما تواظب على نظافة الجسد فلا تكن من الخاسرين ، تلاهَ فى العمل والنمو عن عقبات الحياة وهمومها ، وبكلمة وجيزة كن مثمراً ولو بين القتاد، فلا تحزن يوم يجيئك ملك الحصاد

*
* *

خير الكتب وأنفسها كتاب لا يتركنى بعد ان أطالعه فى الحال التى ألفتها ، كتاب يحرك في عاطفة شريفة جديدة ، أو قصداً كبيراً جديداً . أوفكراً سامياً جديداً كتاب يزحزحنى من مكانى أو يدفعنى لأزحزح من هم

حولى ، كتاب يفيقنى من ثباتى العميق ، أو ينهض بى من حمأة الخمول ، أو يهدينى الى طريقة أحل بها عقدة من عقد الحياة ولكن مثل هذا الكتاب على كثرة ما تصدره المطابع الحرة اليوم من القصص والروايات أصبح كالامرأة الفاضلة التى ينشدها سيدنا سليمان

*
* *

كليمبروتوس اليونانى رمى بنفسه فى البحر بعد أن انتهى من قراءة كتاب أفلاطون فى خلود النفس وفى فعلته هذه الخارقة ثناء عظيم على المؤلف وعلى القارىء معاً ، إذلو لم يقنع كليمبروتوس بحجة أفلاطون لما كان فادى بحياته ليبرهن عن أيمانه ، ولولم يعتقد أفلاطون بما كتبه لما استطاع أن يفحم كليمبروتوس ، فمثل كتابه هذا يزحزح حقاولكنه يزحزح جداً ، يزحزح القارىء دفعة واحدة عن هذا العالم ، فهو إذاً لا ينفع كثيراً ، ومن حظنا أنه لم يترجم الى اللغة العربية ، على أننى وان كنت أشك فى صحة عقل كليمبروتوس لا أشك قط فى شجاعته التى حملته على أن يعمل بما اعتقده

صحيحاً ، فما قولك بالمسحيين والمسلمين واليهود ؟ الذين يعتقدون أو فى الاقل يقولون بالخلود ، ويبكون أمواتهم كما لو كانت أنفسهم أيضاً للدود ؟ فان كنا فى اعتقادنا صادقين إن كنا واثقين كأفلاطون وكايمبروتوس أن النفس لا تموت ينبغى أن نفرح فى الاقل ساعة تطلق من أسر الجسد ، على أنى لا أسألكم أن تفرحوا ولا أسألكم أن ترموا بأنفسكم فى البحر لتبرهنوا عن أيمانكم العجيب ، ولكن لا تصمون الاحياء ساعة الموت بالعويل والنحيب .

* * *

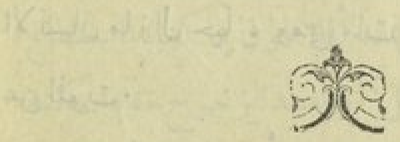
الحكيم لا يخشى الموت لعلمه بأن الموت بعيد عن الانسان ما زال حياً ، ومتى مات الانسان يصبح بعيداً عن الموت .

خير الاحسان وأجمله ما جاد به القلب والعقل معاً ، وما بقى ففيه الكذب والادعاء ، جد علىّ بشىء من القوت فآكله وبعد قليل أصبح كما كنت قبل احسانك ، ففتاتك لا تغير فى نفسى شيئاً ، ولكن هات منك فكراً سامياً

جميلا فيتحلل فى القلب والدماغ ويخالط النفس منى فترثه عنى الاجيال ، فى كل قوة أدبية — أى عقلية روحية — شىء من الخير الخالص النقى ، وإذا كان فيك يا أخى شىء من هذه القوة الادبية فهذا الخير يصدر عنك إن شئت أو لم تشاء وينفعنى أنا وان شئت أو لم أشأ .

***

من الناس من يعجب ببعض أبطال التاريخ ليحذوا حذوهم فى السيئات لا فى الحسنات فينتحل لحماقته من شذوذهم الاعذار ، ويتخذ من عيوبهم مثالا لعيوبه



الجوع

إذا نضبت فى البلاد الأنهار ، واستحالت السماء نحاساً حامياً ترسل أشعة شمسها نقمة وانتقاماً ، فتحرق الأشجار ، وتأكل النبات ، وتجفف الارض ، وتجعل الحقول كالصحراء ، يحدث فى الناس مجاعة لا يد جانية فيها للانسان .

وإذا غزا الجراد زرع أمة ومروجها ، يلتهم الاخضر واليابس كشمس النفود فى الصيف ، فلا يترك وراءه شيئاً يصلح للغذاء ، يحدث فى البلاد مجاعة لا يد أثيمة فيها للانسان .

وإذا ألقى الوباء فى أمة عصاه ، وشرع يفتك فيها فتكا ذريعاً أوجب عليها النطاق الصحى فأبعدها من خيرات الارض خارج تخومها ، قد تجهز عليها مجاعة لا يد جانية فيها للانسان .

وإذا كانت أمة فى حرب فحاصرها العدو وحبس عنها

الزاد فأبت التسليم صاغرة ، قد تهلك جوعا ، ولا ذنب فى ذلك على العدو أو عليها أما إذا وطأ الجيش المحاصر أرضها وأبت البقية الباقية الرضوخ والاستكانة ملجة فى العصيان فقد يتخذ الفاتح التجويع طريقة للاستيلاء التام وقد يكون الذنب فى ذلك عليها ..

ولكن أمة طائعة أولياء أمرها ، أمة مخلدة إلى السكينة أمة بريئة طاهرة الذيل ، تربأ على الضيم صبورة ، سكوتة ، جلودة ، تربتها فى الأقل لم تزل جيدة ، أنهارها لم تزل جارية سماؤها لم تزل مقيمة على عهودها ترسل غيثها خيراً شتاء ربيعاً — فى مثل هذه الأمة لا تحدث مجاعة إلا لأحد أمرين — لجهل فيها أو لجور فى أولياء أمرها .

والمجاعة التى لا يد فيها للطبيعة أو للقضاء أو لله إنما هى جناية الانسان الكبرى على أخيه الانسان .

إن خيرات الارض لتكفى أبناء الارض وإن التكافل والتعاون لمن أوليات الوجود الانسانى الحضرى منه والمدنى فاذا أغفلنا الآن البحث فى أسباب المجاعة ونظرنا فى نتائجها

فقط تحتم علينا النظر أيضاً فى الطرائق الفعالة لازالتها — ولازالتها سريعاً .

أمة صغيرة فى بقعة قصية من الأرض تتضور اليوم جوعاً ، وأمة كبيرة عزيزة الشأن عظيمة الصولة يفيض عنها من خيراتها أليس من العدل إذاً — بل من الواجب المقدس أن نأخذ مما فاض عن هذه لنطعم تلك الجائعة ؟ نعم . وما يصح فى الأمم يصح فى الأفراد ، وهذا التعديل فى خيرات الأرض عدل لا فضل فيه لمن أعطى ولا شكر عليه ممن قبل العطاء .

الأمة المنكوبة أمتنا أيها الناس ، الجياع فيها إخواننا وأن الفائض عنا اليوم لا حق لنا به البتة ، لا والله ، ليس ما فاض من خيرنا اليوم لنا بل هو للجياع فى بلادنا ، ولو كنت من أولى السيادة والسلطان لأخذت اليوم من مشبعان لأطعم الجائع — لفرضت على كل سورى مقداراً من المال يدفعه راضياً أو مكرهاً .

وماذا يضر السورى لو دفع اليوم دولاراً واحداً

لاغاثة اخوانه في الوطن ؟ دولاراً واحـداً على كل سوري الفقير والغني سواء .

إني من أصحاب الرأي لا أصحاب السيادة لذلك لا أستطيع أن اضرب ضريبة هي حق والله على كل سوري ، ولـكني عملت بطريقتي وبحق فدعوت اخواني في المهجر في مقال سبق الى الصوم يوماً واحـداً يدفعون ما يوفرون في هذا اليوم اعانة للمنكوبين ، وقلت أننا إذا خبرنا الجوع نرثى لحال الجائع فنسرع لاغاثته .

وكي لا يقال أني أبشر بما لا أفعل بدأت بنفسي عاملا برأيي ، فاني محاسب لقلبي إذا مال وللساني اذا قال ، لذلك صمت عن الأكل والشرب والتدخين يومين وصالاً ، ودفعت نفقة اليومين الى اللجنة وجئت في هذا المقال اطلع القاري، على ما خبرته من نتائج الصوم ومفعول الجوع .

فاذا كانت كلمتي في الصوم ذهبت أدراج الرياح عسى أن يؤثر عملي فيحمل اخواني في المهجر على الاقتداء بي .

من الساعة السابعة مساءحين بدأت أصوم حتى الساعة

الثالثة بعد ظهر اليوم الثانى لم أشعر قط بالجوع ، ولكننى أحسست بطنين فى أذنى وبتجفف فى لسانى ، وبشىء من المره فى فمى ، على أنى فى الساعة السابعة أى بعد مرور أربع وعشرين ساعة بدأت أشعر نوعاً بالجوع وبالعطش وبشىء من الدوار .

كنت أصيل هذا النهار أتمشى وصديق لى فى أحد شوارع المدينة فمررنا بمطعم صفت فى شباكه أنواع الخبز والكعك والحلويات فوقفت أمام الزجاج الحائل دونى وتلك الجنة ناسياً ذاتى أمثل فى نفسى ولداً فقيراً جائعاً لا فلس في يده يفثأ به ثورة جوعه ، اخترقت الزجاج عيناى وما فيهما من نهمة الى الاكل فتحلب اللعاب فى فمى فغصصت بمر مذاقه وترغرغت عيناى بالدموع ، هذا وأنا لا أشعر حقاً بمضض الألم فى معدة فارغة وقلب يقتر شواء لانى أجوع مختاراً والمسكين الذى صورته أمامى بل أمام تلك المآكل المصفوفة وراء الزجاج يجوع مكرهاً . إن جوعى ينتهى ساعة أريد وأما جوعه فلا يزول إلا ساعة

يتصدق عليه أحد المحسنين ، فقلت فى نفسى إن حالة اجتماعية توجد مثل هذا المسكين الجائع لحالة ذميمة . منكرة ، فاسدة ، جهنمية ، وإذا كانت كذلك فكيف بها والمسؤلون عنها يجوعون عمداً أمة بأسرها ؟

لقد شاركتك جوعك يا أخى فتعال أقاسمك كسرتى عله تعالى يبعدنى من ذل الحاجة والاستجداء الذى هو أشد ويلا من مضض الألم الذى يولده الجوع . ألا فليردد كل سورى هـذا الـكلام — هذا الابتهال وليمثل حول مائدته الفاخرة صبياً فقيراً عضه الجوع . أنهكه ، أقعده ، أضناه أورثه الهزال والخبل ، فيسارع الى إغاثته .

ومن غريب أمر الصوم أن صاحبه لا يشعر بالجوع إلا فى الساعات التى اعتاد أن يأكل فيها ، فانى بعد أن أتت الساعة العاشرة استفقت نصف الليل ولا أثر فى نفسى للصوم ، كأنى قضيت البارح وقد أكلت على عادتى ثلاث مرات .

ولـكننى نهضت صباح اليوم الثانى وفى ساعة الفطور

نهمة الى الاكل ، وهذا لا شك من قبيل العادة ، على أن مظاهر الجوع ازدادت نوعاً وشدة ، فتحت فى فاذا به كالقطن جفافاً ، بلعت ما تحلب من رضابى إذ مررت بركوة القهوة فاذا به أمرّ من الحنظل ، نظرت إلى لسانى فاذا به أبيض كالحليب ، لمسته بأصبعى فاذا به كعباءة الراهب خشونة ، أما أذناى فازدادتا طنيناً ، وأحسست أن رأسى جسم غريب ركب موقتاً بين كتفيّ ، نزلت الدرج وعدت الى غرفتى فألمت بى نوبة من الارتعاش شديدة أقعدتنى بضع دقائق وأنا ارتجف حتى أطرافى ، وكنت أثناء ذلك أحس بموجات حارة تتماوج فى داخلى وبالأخص فى جوار المعدة

فقلت فى نفسى قد عضك الجوع يا رجل . قد دنوت من اخوانك فى الوطن ، نعم بدأت فى اليوم الثاني أشعر بالجوع وأتألم من شعورى . فهذا الضعف فى رجلى وبالاخص فى مفاصلى وركبتىّ إن هو إلا احتجاج المعدة على صاحبها بل على باريها ، بل على من فى أيديهم خزائن الارض المسئولين عن توزيع خيرات الدنيا على عباد الله

مررت بركوة القهوة ثانية فوقفت أمامها راغباً متردداً ثم امتنعت لاني آليت على نفسي أن أصوم يومين كاملين وفى البيت المقيم فيه أناس فى الدور الاسفل يطبخون طعامهم فتتصاعد أحياناً روائح المطبوخات فتسطع فى منزلى وتزعجنى جداً ، ولـكن اليوم يوم الصوم والجوع — فان امرءاً يقتر شواء يتصاعد صوت نشيشه من فوق النار الى منزلى لأحب عندى من مطرب أو مطربة ، وإن روائح الشواء والابازير فى أنفى لألذ من روائح المسك والبخور .

ولت ساعة الفطور وولى معها مضض الجوع ولا غرو ، فان للعادة حتى فى الاكل كما قلت تأثيراً شديداً فينا إذ ما السبب يا ترى فى رغبتى بالطعام فى ساعات اعتدنا أن نتناوله فيها وفى نسيانه بل الرغبة عنه فى الفترات بينها ؟ أما الفكر منى ففى اليوم الاول من صومى كأن لم يزل رائقاً صافياً ، ولـكنه فى اليوم الثاني أصبح خاسئاً حسيراً .

ومن غريب أمر الصوم أيضاً أن الذى يصوم يومين يستطيع أن يصوم خمسة بل عشرة أيام وصالا ، فأنا فى

مساء اليوم الثانى لم أشعر بشهوة الى الاكل شديدة كمساء اليوم الاول . وقد قرأت أخبار أناس صاموا اسبوعين وثلاثة دون أن يتعطل فيهم عضو من أعضائهم الحيوية كالكبد أو الكليتين أو الرئة أو القلب .

ومعلوم أن الاقدمين كانوا يكثرون من الصوم والتنحس وقد قال ابن خلدون — « وقد شاهدنا من يصبر على الجوع أربعين يوماً وصالا »

على أنه لا ينكر أن الصوم أياماً وصالا يفقد المرء قواه الجسدية والعقلية فان العضلات والاعصاب لتتقلص وتذوب من الاقتيات مما كونت منه وأن العقل ليخسأ ويمرض من تشرب دم لا غذاء فيه ، أى أن الصائم طويلا الطاوى أياماً يعيش على لحمه ودمه ، يأكل بالحقيقة نفسه ، نعم اخواني ، ان الجائع يعيش على لحمه ودمه ، والجائع كرهاً يقاسى من مضض الذل — ذل الحاجة وذل الطلب — ماهو أشد من مضض الجوع .

كتبت مرة نبذة انتقد فيها بعض التعابير العربية التى

نرددها نحن الـكتاب وقلما نتحقق تمام معناها . من جملتها قولنا ، « الجوع المدقع » فاستغربت إذ عدت الى القاموس النعت وقلت أن لا أحد يجوع جوعاً يلصقه بالدقعاء أى التراب فمهما اشتدت سورة الجوع لا تبلغ درجة يصح أن ننعتها بالدقوع ، ولـكنى تحققت اليوم خطأى ، فان الجوع يوهن يهزل . ينهك . يقعد ، يهلك ، وإذا كان الجائع هائماً في البرية يطلب الاعشاب يقتات بها فليس من الغريب أن يسقط فى الطريق من شدة الجوع . نعم رأيت كلاب السوق فى الشرق في جوع ألصق بطونهم ووجوههم بالتراب . وكنت أجل البشر عن ذلة الـكلاب وجوعهم .

فوا أسفاه ! اننا لنتحقق اليوم من حال بلادنا صحة التعبير العربى بل تحققنا التقصير فيه لا الغلو ، مئات بل ألوف من اخواننا مطروحون اليوم فى الطرق والاسواق تتلاشى أجسامهم عضواً عضواً ، عيونهم شاخصة الى الشمس نهارا الى السماء والنجوم ليلا ، يسألون بارى الاكوان كسرة من الخبز قلوب واجفة ، أبصار خاشعة ، نفوس حزينة حتى

الموت ، معد تلتصق بالاضلع منهم كما تلتصق أجسامهم بالدقعاء — بالتراب . فى فهم المرة الصفراء — مر الحياة — يبتلعونها ثم يبتلعونها . فى أعصابهم المتقاصة غصص الرعشة فى أجسامهم المرض والوهاء .

شيوخ وأطفال ، نساء ورجال ، يسارعون الى المدينة من الجبال علهم يلتقطون فى أسواقها ومن فضلات ذوى اليسار فيها كسرة من الخبز فيتساقطون فى الطرق كورق الخريف وقد استحوذ عليهم الجوع المدقع ، أفلا تشاركهم جوعهم يوماً واحداً أيها السورى ! أفلا تمدهم بنفقة يوم من أيام يسرك !

ووالله لو مر بهؤلاء المناكيد الجياع وحش ضار أو عقاب كاسر لمال بوجهه عليهم ، لرثى لحالهم . وأننا نعلم أن فى الحيوان غريزة هى أشرف من غريزة الانسان التى أفسدتها المدنية والتكالب فيها . فمن الطيور من يطعم صغارها من قلبها إذ لم تجد لهم رزقاً .

فيا أيها السورى النائى عن اخوانك المنكوبين جئت

أخبرك خاشعاً لا مفاخراً أنى صمت يومين فأنهكنى ، أقعدنى يوم واحد من الجوع . فكيف بمن يصومون أياماً بل أسابيع ؟ اليوم ! اليوم ! من كان غنياً فليستعفف ! من كان متردداً فى التبرع فليتقدم ! من كان متقاعداً فلينهض ! من كان فى سبات فليستفق ! وما الفائدة من القول غداً غداً فان مثل هؤلاء المستحجرة قلوبهم يلوحون بثريدتهم للجائع الاقرب الى الضارى من الحيوان منهم الى الانسان .

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت

ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

الصوم ! التقشف يوماً واحداً ! تملكون تلك النفس منكم الشارهة الى اللذات فان مثل هذه السيادة على أنفسكم لأشرف من وجاهة يجرها لكم المال ، صوموا يوماً واحداً وتصدقوا علينا بدولارين مما رزقتم ، الامة أمتنا جاثية على قارعة الطريق تئن من ألم الجوع — الجوع المدقع ، الجوع المهلك ، فهلا تسارعنا ، بل تسابقنا الى إغاثتها ؟ أليس بلسان فى جلعاد ؟ »

هباسيا

١

« مهد العلم الحديث »

ألقي الرواية جانباً ، سيدتى ، فأقص عليك قصة حقيقية محورها المرأة والعلم وقطرها الظلم والتعصب ، تعالى معى أحدثك ماشياً فتفهمين كلامى ماشية ، إنا الآن لفى حى الاعيان من المدينة ، وها قصر الملك أمامنا ، وبالقرب منه المتحف الشهير الذى بناه أحد الملوك الفاتحين ، وفى هـذا المتحف دار العلوم التى يؤمها الطلبة من كل حدب وصوب من كل الشرق يأتون ومن الغرب ، من الجنوب ومن الشمال ليتلقوا العلم والفلسفة من امرأة عالمة حكيمة .

أقف بك ، سيدتى ، أمام هذه الكلية العظيمة ، كلية لا شرقية هى ولا غربية ، أقف بك أمام هذا المعهد القديم — وهو مهد العلوم الحديثة — الذى شيده الامراء وخلد

ذكره المؤرخون والشعراء . ما أبهى هـذه الرواقات وقد غصت بالطلبة من كل أجناس الناس والطبقات ، وما أعظم هذه المكتبة وفيها مايربو على الاربعمائة ألف مجلد ، ولكنها واأسفاه ستوزع على الحمامات بعد حين ، ولا يعصي العلم على ابن العاص ؛ ولا الاربعمائة ألف مجلد تقوى على كتاب واحد ، ان لله فى خلقه وفى كتبه شؤوننا .

نعم ، سيدتى نحن في سراديب التاريخ فلا يهولنك ما وراءنا وما أمامنا من الظلمات ، على أنى أقف بك موقف النور لنذرف دمعة على العلم وعلى احدى نسائه العاملات

ليست المكتبة أعظم ما فى المتحف بل هناك دوائر أخرى سترينها ، هذا المرصد الفلكى الذى يبعد الانسان من الخرافات ويقربه من الله ، وهذا المعمل الكيماوى حيث الملك نفسه كان يشتغل بضع ساعات فى النهار باحثاً عن اكسير الحياة . وهـذه دار التشريح ولا أظنك تحبين أن تدخليها ، وقد تتعوذين إذا أخبرتك أن الاطباء فيها يشرحون الاحياء أيضاً ممن حكم عليهم بالاعدام ابتغاء التوصل الى

الحقائق الطبية الراهنة ، لا تتكرهى ، سيدتى ، فقتل المجرمين خير من قتل الابرياء .

تعالى فأريك جنينة الحيوانات وبستان النباتات حيث الطلبة يتعلمون من الامثال الحية علمي النبات والحيوان ولا تظنى أن التعليم فى هذا المعهد العظيم ينحصر فى العلوم الطبيعية فقط ، بل يتناول أيضاً العلوم العقلية والروحية ، فان هـذا المعهد لكمثل معاهد العلم كلها — إنما هو معهد الحقائق والاضاليل معاً ، ورب حقيقة تشعل الاوهام نورها ورب أوهام كبعض الاطيار تبيض بيوضها فى عش الحقائق فقد نبغ فى هـذا المعهد العلمى المتشرعون واللاهوتيون والاطباء والفلاسفة والعلماء .

لا ، يا سيدتى ، ليست كلية اكسفرد هذه ولا معهد الصربن . لسنا الآن فى لندرا أو فى باريس إنما نحن فى المدينة التى ولد فيها العلم الطبيعى واللاهوت المسيحى تحت سقف واحـد فتخاصما وتنازعا طويلا . وكان من شأنهما في قديم الزمان ما كان ، إنما نحن فى قاعدة البلاد المصرية ، فى باريس

الزمان القديم ، في الاسكندرية على عهد الرومان ، والمتحف الذى وصفت فروعه العامية هو الذى شيده بطليموس سوتر وابنه فيلادلفس ، وكان المليكان يدرسان ويعملان فيه كبقية الطلبة والعلماء .

المؤرخون متفقون فى أن كلية الاسكندرية هذه كانت فى زمانها أعظم معهد للعلم فى العالم ، كيف لا ومن مرصدها رصدت النجوم والكواكب التى استنار بها فيما بعد علماء أوروبا الفلكيون ، كيف لا وفيها وضعت فلسفة أرسطاطليس الاستقرائية موضع العمل وكان من ثمارها أن معهد بطليموس هذا أضحى مهد العلوم الحديثة ، ومَن مِن علماء اليوم ينكر فضل أرخيميدس فى الرياضيات ؟ ومن لا يذكر بطليموس وآبولونيوس وهباركوس فى علم الفلك ؟ ومن لا يعرف أقليدس ومبادئه فى الهندسة التى يتعلمها الطلبة فى المدارس حتى اليوم ؟ وقد لا تعلمين ، سيدتى ، أن أراتوستينس ، وهو من علماء هذا المعهد أيضاً قاس الارض قبل علماء الخليفة المأمون ، واكتشف شكلها

الـكروى قبل كبرنـكوس وغاليلووان هيرو اخترع آلة بخارية قبل جان وطس الانكليزى ، وأن تيزيبوس أول من اخترع ساعة مائية ، وأن يوليوس القيصر بعث يطلب من هذا المعهد الاسكندرى سوسيجينوس الفلـكى ليصلح له الروزنامة الرومانية على الحساب الشمسى ، فالمعهد الذى ينبغ فيـه مثل هؤلاء العلماء العاملين ، لا شك ، عظيم ، وأعظم منه من كانوا يلقون فيه الدروس العالية .

٢

« الفيلسوفة العذراء »

ومن هؤلاء سـيدتى الفيلسوف ثيون الذى درس الرياضيات فى القرن الرابع (ب م) وراقب كسوفاً سنة ٣٦٥ وألف فى الفلك والطبعيات تآليف درست كلها ، ولـكن أعظم تآليف ثيون وأعماله ابنته البارعة هباسيا . ولدت

هذه الفتاة فى الاسكندرية وقرأت العلوم على أبيها وكان لها ميل خاص فى الرياضيات والميكانيكيات ، وقبل أن وقفت حياتها على العلم والتعليم سافرت الى آثينا وتلقت هناك الشريعة والفلسفة ، ورافعت فى المحاكم ، ونشأت نشأة عجيبة دلت على مقدرة عقلية فيها تضاهى مقدرة أعظم الرجال ، ولما توفى أبوها كانت قد تمكنت من العلوم وبرهنت فى مواقف عديدة على تضلعها ورسوخها فى الرياضيات والفلسفة ، فرقيت فى العشرين من عمرها وهى عذراء الى منصبه وظلت تعلم فى المتحف الاسكندرى أربعين سنة ، فهاج أخيراً عليها هائج الجهل والتعصب فقتلها شر قتلة كما ستعلمين .

هباسيا زينة نساء الاسكندرية فى تلك الايام ، ورئيسة الفلسفة الافلاطونية ، وصديقة الامراء المحبين للعلم والعلماء ومرشدة الحكام ، وعدوة التعصب والخرافة ، كلنا نسمع بالملكة كليوباترا الداهية الفاسقة ، ولكن من منا يسمع بهباسيا العالمة العفيفة العذراء ؟ فى المتحف الذى وصفته كانت تلقى دروسها على الالوف من الطلبة وفيهم الاعيان

والاغنياء واللاهوتيون . فى ذاك المتحف كانت تعلم بأفصح لسان وأجلى بيان فلسفة أفلاطون الجديدة التى تدعى فى تاريخ الفلسفة « نيو بلاطونيزم » فى ذاك المتحف الذى شيده بطليموس رفيق الاسكندر أنارت هباسيا أنواراً أطفأها الجهل والتعصب فظلت بعدئذ أوروبا تعمه فى الظلمات أحد عشر قرناً.

وقد كانت هذه الوثنية الفاضلة رائعة الجمال ، فصيحة اللسان ، شديدة العارضة ، سديدة الرأى ، سريعة الخاطر شريفة الشمايل والخصال ، وأن آباء الكنيسة أنفسهم ليعترفون لها بذلك ، على أنها كانت تتعب فكرها عبثاً فى مسائل قد تشغل الفلاسفة بعد ألفى سنة من اليوم كما أشغلتهم منذ ألفين مضت ، من أين الحياة وإلى أين ؟ فان هباسيا ، سيدتى ، أمد الله بحياتك وأنارها ، كانت تحاول حل هذا اللغز القديم العظيم ، ما هو العقل ؟ وما هو العلم ؟ وما هو الله ؟ — فى مثل هذه المواضيع الخطيرة كانت الفيلسوفة العذراء تلقى دروسها وخطبها ، والحقيقة أن فلسفة

الاسكندرية فى أيام هباسيا وقبلها إنما هى مزيج من فلسفات اليونان كلها كفلسفة المشائين والرواقيين والكلبيين وغيرهم

ومن تلاميذ هباسيا الذين حازوا شهرة فى زمانهم سينيسيوس أسقف عكا ، وقد بعث هذا الاب الفاضل برسائل عديدة الى ابنة ثيون البارعة فيها ثناء جميل عليها واعتراف بفضلها وجميلها عليه ، ولم تزل هذه الرسائل محفوظة وفى احداها يستشير المراسل أستاذته فى عمل الاسطرلاب دليل أنها كانت تميل الى علمي الفلك والميكانيكيات أكثر من سواهما ، وقد ألفت كتاباً وشرحت كتب أبولونيوس فى هذه المواضيع ، ولكن عمراً بن العاص الذى جاء الاسكندرية بعدئذ لم ير فيها وفى الالوف مثلها كبير فائدة فوزعها على الحمامات لتسخن على نارها المياه ، برد الله مثواه

قد شهد المؤرخون لهباسيا الوثنية بالعفة والنزاهة كما شهدوا لها بالفضل والعلم والحكمة ، وهم متفقون فى أنها عاشت وماتت عذراء ، وأما ما قاله سويدس فى أنها اقترنت بالفيلسوف أزيدوروس فلا صحة له ، وقد قيل أنه محض

اختلاق وافتراء ، والنامون منذ البدء كثيرون ، فالاسقف سينيسيوس أول من اعترف بفضلها وعلمها ، وعندما تعرف بها وأخذ يحضر محاضراتها كانت أضحت فى الاربعين من عمرها وكانت قد قضت فى المتحف عشرين سنة تخطب وتعلم ، وظلت الصداقة بين الفيلسوفة الوثنية والاسقف المسيحى نقية الاسباب وثيقة العرى ، فلا هباسيا اعتنقت الدين المسيحى ولا سينيسيوس خلع ثوبه الكهنوتى (على أنى قرأت فى أثر لأحد آباء الكنيسة أن أسقف عكا لم يقتبل قواعد الدين المسيحى ولم يعترف بعقائده كلها ، فهل فى ذلك دليل على أرجحية الفلسفة فى كفة ميزانه ؟ الله أعلم)

أما فى سلوكها ولبسها ومعيشتها فقد كانت آية البساطة والجمال . وانى لأتخيلها واقفة أمام تلاميذها بثيابها البيضاء المهلهلة وقد عقصت بشريطة من الحرير شعرها ، وسدلت على كتفها ذيل ردائها ، وفى رجلها العارية نعل يونانية بسيطة فلا قبعة تثقل رأسها ، ولا مشد يضعف رئتيها وقلبها ، ولا كعب عالياً يضر بعمودها الشوكى وبمجموع أعصابها ،

آية فى البساطة والبراعة والجمال ، وحبذا لو عادت نساء اليوم سيدتى ، الى الزى اليونانى القديم البسيط ، خمس أذرع من القماش الكتان الرقيق خير من عشرين ذراعاً من الحرير الثقيل المخيط على آخر « موده » فلا تثقلى وتشددى جسمك ، سيدتي ، كما لو كان جسم عدوتك ، ناهيك بأمر الاقتصاد والتوفير ، على أننا لسنا الآن فى موضوع الازياء والاقتصاد

لنعد إذاً الى هباسيا ، فقد وصلنا الى ما يثير الاحزان من أمرها ، فان هذه العالمة الحكيمة التى كان يكرمها الاسكندريون الراقون ، ويستفتيها العلماء العاملون ويستشيرها فى أمور السياسة الحكام ، لم تنج من كره المتعصبين من المسيحيين . فبعد أن خدمت العلم والفلسفة أربعين سنة خدمات جليلة ماتت موت الشهداء على أفظع طريقة وأنكرها كما ستعلمين

٣

— البطريق كيرللوس —

لم تكن الاسكندرية فى ذاك الزمن مهد العلوم المادية فقط ، بل كانت عش الكلام أيضاً والسفسطة ، وبينا كان نستوروس وكيرللوس يتنازعان فى عقيدة عبادة العذراء وأثاناثيوس وآريوس يتناقشان فى عقيدة المشيئة الواحدة والمشيئتين كان علماء الاسكندرية يشتغلون هادئين باكتشافاتهم، واختراعاتهم ومن آباء الكنيسة الذين اشتهروا بالفصاحة والعلم والتعصب والدهاء والمعاندة والمكابرة كيرللوس الذى كان بطريق الاسكندرية على زمن هباسيا فبينا هى كانت تلقى دروسها فى العلوم والفلسفة على الالوف من الطلبة كان كيرللوس يثير من على منبره خواطر النصارى على اليهود ، ولما ارتقى الى المنصة البطريقية فى الاسكندرية كانت هباسيا في أوج شهرتها وقد تجاوزت الخمسين من عمرها ، ومنذ ذاك الحين إلى أن قتلت لم يطب للبطريق

عيش ولم يسغ له شراب ، وان أمره في التعصب والحقد والاستبداد مشهور لدى المؤرخين ، فحينما ذهب الى أفسس ليناقش نستوروس في عقيدة العذراء استصحب زمرة من رعاع الاسكندرية حتى إذا ضاقت به أبواب الجدل هاجهم على عدوه وعندما تبوأ كرسي السيادة طرد اليهود من الاسكندرية وبعث بعسكر على معابدهم وبيوتهم فنهبوها ودمروها وارتكبوا من الفظائع فيها ما تقشعر لهوله الأبدان .

ولا يخفى عليك ، سيدتي ، أن البطريق في تلك الايام كانت له قوة الحاكم المدني فان فرقة من الجنود كانت دائماً موقوفة لخدمته لتنفيذ أوامره ، على أن محافظ البلد أورستيس لم يستطع صبراً وسكوتاً على هذه الفظائع التي ارتكبها كيرللوس باسم الدين ، فناهضه برهة وكانت هباسيا في هذا الخصام نصيرة المحافظ بل نصيرة الحق ، واستمر هذا النزاع الى أن حدث الحادث الهائل الذي أودى بحياة ابنة ثيون العالمة الجميلة ، ولا تظني سيدتي أن هذا هو السبب

الوحيد الذى أثار خاطر كيرللوس على هباسيا ، فان رأس الخلاف بينهما لا أبعد من هذا ، أجل إنما هو نزاع بين العلم والخرافة ، بين التعصب والفلسفة ، بين الحرية والاستبداد بل هو نزاع بين عذراء وثنية أقامت على فضائل الدين المسيحى دون أن تعتنقه وبين بطريرك استخدم الدين واسطة لاشفاء غليله ونيل مآربه ، وفاز بذلك فوزاً مبيناً ، حتى أن المحافظ أورستيس أشفق على منصبه وحياته من تعصب البطريرك وتغيظه . ولكن ذنب المحافظ ذنب سياسى فقط وذنب هباسيا سياسى علمى دينى ، لذلك اختارها كيرللوس هدفاً لحقده وغضبه ، وسأنقل اليك حادثة قتلها كما رواها واتفق في روايتها المؤرخون .

عندما كانت هباسيا عائدة فى عربتها من المتحف الملكى قاصدة بيتها تصدى لها جمهور من رعاع المسيحيين وفيهم الرهبان وفى مقدمتهم بطرس الشماس الذى كانت له فى الجريمة المنكرة اليد الطولى ، فأسقطوها من العربة ، وجروها الى السيزاريوم (وقد كانت فى ذاك الزمان كنيسة للنصارى)

ونزعوا عنها كل ثيابها ومزقوا جسدها تمزيقاً بصدف المحار (وقيل بشقف من القرميد والفخار) ثم قطعوها إرباً إرباً وذهبوا بها الى خارج المدينة وحرقوها هناك ، وكان ذلك فى اذار سنة ٤١٥ فى عهد الملك تيودوسيوس الثانى ، فقدس كيرللوس فى صباح اليوم التالى على عادته ، وأكل جسد الرب ولـكنه لم يستطع أن يقول ما قاله بيلاطوس قبله بأربعة قرون — أنا برىء من دم هذا الصديق ، لا ، فان البطريرك مسؤول عن قتل هباسيا على هذه الطريقة الفظيعة الشنعاء ، وقد يتطرف المؤرخون ويعتدلون بحسب نزعاتهم السياسية وصبغاتهم الدينية ، ولـكن ما من واحد منهم يرتاب فى أن البطريرك كيرللوس هو العامل الخفي على قتل هباسيا وقد قال ثيودروت ، وهو من آباء الـكنيسة المشهورين ، أن لـكيرللوس يداً خفية فى هـذه الجريمة ، وقال أحد المؤرخين المعتدلين — إن لم تقتل هباسيا بامر صريح واضح من البطريرك فقد قتلت بعلمه وارادته .

وقد أدهشنى عنوان طويل لـكتاب طبع فى انكلترا

سنة ١٧٢٠ فى هذا الموضوع ، قال المؤلف ان هذا « تاريخ امرأة عظيمة فى علمها وفضلها وفصاحتها وأخلاقها وجمالها قتلها اكايروس الاسكندرية ومزقوها إربا إربا اكراما لخاطر بطريركهم الذى يدعى بلا استحقاق القديس كيرللوس »

وفى قتلها أقفل باب المتحف العظيم الذى شيده رفيق الاسكندر ، فى قتلها كانت نهاية العلم والفلسفة فى المغرب فى قتلها تم للتعصب النصر على الحرية والتهذيب ، فأقفل باب النور الذى فتحه بطليموس فى الاسكندرية كما أقفله يوستنيانوس فى اثينا فكان سمبليسيوس آخر الفلاسفة فى بلاد اليونان وكانت هباسيا خاتمة الفلاسفة فى بلاد مصر ، ومنذ هاتين الحادثتين المنكرتين تبتدىء ما يدعى فى التاريخ « العصور المظلمة » وتستمر فى أوروبا أحد عشر قرناً .

هذى هى سيرة هباسيا « العظيمة فى علمها وفضلها وجمالها » بل هذه قصة النزاع بين الدين والفلسفة في ذلك الزمان ، ومهما قيل فى البطريرك كيرللوس فمن المقرر ،

سيدتى ، أن الرجل الذى يعمل ماعمله فى اليهود — الرجل الذى يهيج رعاعه على نستوروس فى مجمع أفسس — الرجل الذى يستخدم القوة العسكرية لاثبات عقيدة لاهوتية وتعزيزها — لايتردد في أمر امرأة عملت على هدم صروح الخرافة والاوهام ، فقولى إذاً — رحم الله أمثال كيرللوس من البطاركة وجعل أمثال هباسيا من المقربين المكرمين.

المختارات الشعرية

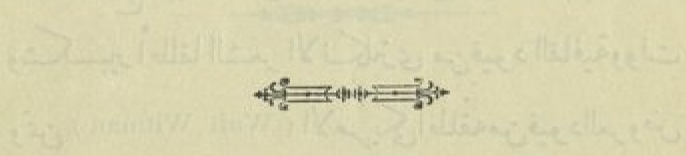
أو

الشعر المنثور

يدعى هذا النوع من الشعر الجديد (Vers libres) بالافرنسية وبالانكليزية(Free verse) أى الشعر الحر أو بالحرى المطلق وهو آخر ما اتصل اليه الارتقاءالشعرى عند الافرنج وبالأخص عند الاميركيين والانكليز فملتن وشكسبير أطلقا الشعر الانكليزى من قيود القافيةوولت وتمن (Walt Witman) الامريكى أطلقه من قيود العروض كالاوزان الاصطلاحية والابحر العرفية، على أن لهذا الشعر المطلق وزناً جديداً مخصوصاً وقد تجىء القصيدة فيه من أبحر عديدة متنوعة

وولت وتمن هو مخترع هذه الطريقة وحامل لوائها

وقد انضم تحت اللواء بعد موته كثير من شعراء أوروبا العصريين . وفى الولايات المتحدة اليوم جمعيات « وتمنية » ينضم اليها فريق كبير من الأدباء المغالين بمحاسن شعره الجلية المتخلقين بأخلاقه الدمقراطية المتشيعين لفلسفته الاميركية ، إذ أن شعره لاتنحصر مزاياه بقالبه الغريب فقط بل فيه من الفلسفة والتصور ماهو أغرب واجدّ .



الثورة

ويومها القطوب العصيب ، وليلها المنير العجيب .
ونجمها الآفل يخدج بعينه الرقيب .
وصوت فوضاها الرهيب ، من هتاف ولجب ونحيب ،
وزئير وعندلة ونعيب .
وطغاة الزمان تصير رماداً ، وأخياره يحملون الصليب .
ويل يومئذ للظالمين ، للمستكبرين والمفسدين ،
هو يوم من السنين ، بل ساعة من يوم الدين
ويل يومئذ للظالمين

* * *

هى الثورة ويومها العبوس الرهيب .
ألوية كالشقيق تموج ، تثير البعيد ، تثير القريب .
وطبول تردد صدي نشيد عجيب .
وأبواق تنادى كل سميع مجيب .

وشرر عيون القوم يرمى باللهيب .

ونار تسأل هل من مزيد ، وسيف يجيب ، وهول يشيب .

ويل يومئذ للظالمين ، ويل لهم من كل مريد مهين طلاب للحق عنيد مدين ، ويل للمستعزين والمستأمنين .

هى ساعة للظالمين

هى الثورة وأبناؤها الحفاة ، وصبيانها المسترجلون العتاة ورجالها الاشداء الاباة ، ونساؤها المتنمرات .

وخطباؤها وخطيباتها الفصيحات ، وزعماؤها وزعيماتها المتمردات .

ويل يومئذ للظالمين

أنذرهم بأغلال وسعير ، بقنابل تفجر ويوم عسير .

يوم لا ينهون ولا يأمرون ، ولا يطلقون فيهربون .

ويل يومئذ للظالمين

*
* *

ألم يأتهم حديث الرومان ؟

يوم شغف قيصر [١] بالارجوان ، ومد يده إلى الصولجان .

فاذا هو صريع خناجر أحرار ذاك الزمان ، قتيل مهان كثير الطعان .

ويل يومئذ للظالمين

* * *

ألم نقص عليهم قصص باريس ؟

يوم دك البستيل وزفت المحابيس ، يوم قطع رأس الملك لويس [٢]

وحزت رقاب كبار الفرنسيس وفر الطاغون والمسيطرون من وجه هول باريس

ويل يومئذ للظالمين

* * *

---

(١) يريد به يوليوس قيصر وروايته مشهورة (٢) لويس السادس عشر

ونبأ الانكليز .

يوم بايع القوم بياع الجمعة [١] وقالوا هذا ولى عزيز .

يوم نادى الخمار بالناس والملك فى حرز حريز .

فاذا بالمستضعفين أشداء وشارل المليك ذليل نبيذ

بل على المشنقة يستعيذ .

ويل يومئذ للظالمين ، من كل متنمر متمرد مدين .

ويل يومئذ للمفسدين ، من نصر البنود الحمر المبين .

*
* *

ونبأ العالم الجديد

ألم يروا لهيب الأتون فى العالم الجديد ، حيث يطرح

كل جائر مريد .

حيث يحرق الارجوان وتذوب تيجان الحديد .

حيث تحرر العبيد ويموت ألوف البشر من أجل

هؤلاء السود المناكيد .

---

(١) كرومويل وهو زعيم الثورة الانكليزية التى انتهت بمقتل شارل الاول

حيث قام الاذل على الأعز . والوضيع على الجبار العنيد

ويل يومئذ للظالمين ، يوم يمتع الله المستعبدين

ويطلق فى الشعوب سلطان روح كمين ، بل يضرم من ناره البراكين .

بل يثير فى الجموع روح الامين ، روح كل زعيم صادق أمين .

يوم يهب المظلوم سيف الظالم الاثيم .

ويذيق المفسدين حر عذاب اليم ، فى هذه الارض لافى الجحيم .

ويل يومئذ للظالمين من كل متنمر متمرد مدين .

ويل يومئذ للمفسدين ، من نصر البنود الحمر المبين .

ريح سموم

وربك القيوم ، ما الذى تظنه يدوم؟
صوت سمعته فى الكروم ، وقد مرت عليها ريح
سموم ، فجفت الارض
وعادت جزرة كثيرة الكلوم
سقطت الجفان عن فسائلها وفزعت أوراقها إلى الغيوم
صوت صارخ من وراء النجوم ، ما الذى تظنه يدوم؟

*
* *

من صروح زاهية فخيمة ، من رياض زاهرة كريمة ،
من بروج شاهقة عظيمة ، من معامل حديثة أو قديمة ،
ما الذى نظنه يدوم؟
من أسراب منورة تحت الانهار ، من أرتال فيها
يدفعها الكهرباء أو يجرها البخار ، من بوارج ماخرات
فى البحار ، من أساطيل تنذر بالدمار ،

من معالم ومعاهد فى الامصار ما الذى تظنه يدوم؟

من إنفاق تحت الاديم ماؤها عجاجه ، تنفثها وتثيرها القطر الولاجة

من قباب بين السحاب وهاجة . ما الذى تظنه يدوم ؟

من جسور فوق المياه جسيمة، من جزائر على المياه عظيمة.

من جبال تحت المياه قديمة ، ما الذى تظنه يدوم ؟

من سدود ، محكمة منيعة من خلج كونتها الطبيعة ،

من ترع تؤلف بين البحار ، وتجمع بين بعيد الاقطار والأمصار

من خطوط حديدية تطوق الارض ، من أسلاك برقية تطوي المسافات في الطول والعرض ، ما الذى تظنه يدوم ؟

من أبنية ذات الطبقات العشرين ، من أحياء فى المدن الكبرى

يأوى اليها جموع البائسين ، معابد وبيع لا أثر فيها للدين

من أصقاع لا صوت فيها للأحرار الصالحين ، ما الذى تظنه يدوم ؟

من قصور مكتنفة برياض خضراء ، من صروح الملوك والأمراء

من دور الرؤساء والأغنياء ،

من أكواخ البؤساء والفقراء ما الذى تظنه يدوم؟

من شرائع ودساتير

من تقاليد وعادات وخرافات .

من أديان وعقائد وخزعبلات .

من دول وممالك وحكومات .

من أحزاب وطوائف وجماعات ما الذى تظنه يدوم ؟

صوت صارخ من وراء الغيوم ، صوت ريح سموم أى شىء يدوم ؟

مهلا مهلا ، إن هذه كلها الصالحة فى ذاتها ، ان هذه كلها لحسنة فى وقتها .

لكل شىء من العز والمجد أركان ، لكل شىء من أبناء البطر والاشر أعوان ، لكل شىء برهة من

دهره الوسنان

ساعة أو عام أو قرن من الزمان ، الطويل من الدهر
فى عين الازل والقصير سيان .

فلا تظنها إلى الابد تدوم ، لا وربك القيوم ، مبدع
الشمس والنجوم

* * *

إلى حين يا أخى الى حين ، كل ما فى العالمين ، أى
ورب العالمين الى حين ، وبعد فقل لى هل أنت من الممترين
هل أنت من القائلين السائلين ؟ وبعد ذلك وبعد حين

أما فى زمانك تأملت المغاور فى الصخور ؟ فاذكر أن
الامطار والرياح تكونها ، والامطار والرياح تهدمها

ان كل ما هو محترم معبود ، من أضاليل الزمان
والجدود يظل فى حرز الى أن يظهر فى الناس رجل عظيم
عزيز .

بطل تجود به الايام ، فيصرخ فى وجه الائمة والحكام

صرخة ترددها البحار والآكام ، وهو قائم على المظالم البشرية مناضل عن الحقيقة والحرية ، باذل مهجته فى سبيل الانسانية

أجل ان كل شيء لحريز فى موضعه حصين ، الى أن يزلزله رجل حصيف رشيد ، أو امرأة عظيمة ذات رأى سديد .

ومهما كانت حصونكم متينة منيعة ، فساعة الزلزال والدمار شديدة سريعة .

ساعتئذ يتحدث الركبان فى صنيع لأحد العظام جميل أو عمل لاحدى العظيمات جليل

أجل ان كل شيء لحريز فى موضعه حصين الى أن يقف أمام القوم رجل صالح ذو رأى سديد ، حر فصيح عنيد ، أو امرأة صالحة ذات رأى سديد حرة فصيحة لسانها من حديد

يومئـذ يعلو صوت المطالب بحقوق المستضعفين المستذلين المستعبدين

صوت الامناء والامينات من زعماء وزعيمات على كل ظالم جبار مهين

*
* *

وبعد أن تلاشت ريح السموم فوق الجبال تلاها نسيم لطيف الاعتدال

فدخلت فى أثره غابة من الصنوبر كثيفة الظلال، وسمعت من خلال الاغصان. صوت المحبة والمعروف والحنان سمعت صوتاً يقول: ورب الاكوان، لايدوم إلا الاحسان والعرفان، لا يدوم إلا السجايا الروحية الفريدة، سجايا النفس البشرية الخالدة

لا تدوم إلا آثار النهضة الجليلة، ومآثر الانفس السامية النبيلة

وما أسخف الجدل والمنطق والبرهان أمام مشروع جليل وما أوهن التعاليم الوضيعة تجاه خطب جسيم، وما أوهى الاقوال والآراء إذا قوبلت بنظرة من رجل عظيم أو صادفت نفحة من نفحات حكيم

عندما يرفع مثل هـذا البشر رأسه وصوته ولا فرق عندى رجلا كان أو امرأة يقف دولاب الاعمال ، ولا يبق شيء على حال

عندئذ يبطل الجدال ، وتنكسر شوكة المال ، وتحشر الرجال ، وتكبر الآمال

يومئذ تنقلب المجتمعات ، وترتعد فرائص الطغاة الحفاة

يومئذ تنقلب العادات والعبادات ، وتهب على الارض الذاريات السافيات

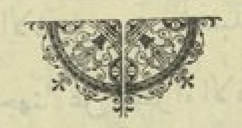
فيسأل السائل من وراء النجوم : أين مالـكم ونفوذكم وشوكتكم ، أين تقاليـدكم وطرائقكم ولاهوتكم ، أين شرائعكم ودساتيركم وحكوماتكم أين حصونكم وصروحكم وسجونكم وجنودكم ، أين مصانعكم ومعاهدكم ، أين ذخرفكم وسفاسفكم ؟

فقل إن هى إلا برهة من الدهر الوسنان . ساعة أو عام أو عصر من الزمان

قل ورب الاكوان ، لا بقاء لما سوى الجد والعرفان والمعروف والحب والاحسان

فهى هي الجبال الراسيات ، وهى هى الحصون الواقيات وهى هى الباقيات الصالحات

بلى ورب السماء والنجوم ، لايفلح المستكبر الظلوم ولن تدوم إلا آثار النفوس الذكية السامية ووجه ربك الحى القيوم



تحت الرماد وفوق النجوم

﴿تحت الرماد وفوق النجوم ، مالا تراه مما يدوم﴾

رأيت فضيلة اليوم تجر أذيال الفخر والتبجح في شوارع الرياء وفي أزقة الورع والقداسة فكرهتها نفسي

ورأيت ما يسميه الناس رذيلة تقضي حياتها في ظلمات السكون والكتمان وراء ستار الخمول والنسيان فحن اليها فؤادي .

لم إذاً نبغض الاشرار ، ولم إذاً نعبد الابرار ؟

لماذا نميل وجهنا عن الفقراء الاذلاء ، ونعفره أمام الاغنياء والامراء ؟

ان علية القوم أوطاهم أيها الاخوان فاحذروا من تكرهون ومن تحبون .

من تحتقرون ومن تجلون .

وغداً ينير الله قلوبكم فتعرفون الحق وتعبدون

لا والله وأنا لا أشمخ بأنفي على أصغر صعلوك ولا أعفر وجهي أمام أكبر الملوك

﴿ ان تحت الرماد وفوق النجوم ، ما لا تراه مما يدوم ﴾

اعلموا ان الكل في عيني سواء ، من الوجهة التي أنظر منها الى الناس

كيف لا وتحت الرماد نفس هذا الشرير جذوة خير حيـة ، وفي بستان ذاك الصديق كثير من الجذور السامة والنباتات الكريهة الرائحة .

كيف لا وفي الصعلوك نفس تكبر إذا انطلقت من القيود والاغلال ، وفى الملك نفس تصغر إذا جردت من ترهات الابهة وأباطيل الاجلال

لم إذاً يحسد الانسان هؤلاء الاغنياء والاقوياء ، وأولئك الملوك والامراء ؟ ان أفقر البشر حالا ، وأوضعهم شأناً وأقلهم مالا . لهو من أعاظم الناس ، ان كان لا يحسد أحداً من الناس .

﴿ ان تحت الرماد وفوق النجوم ، مالا تراه مالا يدوم ﴾

أنا لا أغبط من أبناء آدم إلا الرجل الحر حقاً ، الحر بكل معنى الكلمة ، ولكن أين أجد مثل هذا الرجل لأعبده لا لأغبطه ؟

أما الاغنياء والاقوياء ، والملوك والامراء . — تباركت أسماؤهم فعظمتهم إما مكتسبة اصطناعية ، وإما خلقية طبيعية وجل ما فى القوة المكتسبة مسروق منهوب ، ومعظم العظمة الاصطناعية مختلس مسلوب ، العظمة العرضية الاصطناعية ، هى كالسوس فى عظام القوة الحقيقية .

ومن يحسد السوس فى العظام ، أو الذباب فوق الطعام أو الجراد على الآكام ؟

وأما العظمة الخلقية الطبيعية فهى جير من روح الله وأنا أطأطئ رأسى أمام كل قوة بشرية فيها شئ من جوهر الذات الالهية ، وان أسمى ما فى قلب الانسان من العواطف الشريفة هي تلك التى تتجلى فى اتضاعه وخشوعه أمام العظمة البشرية الخلقية التى هى حقيقة الله فى الناس

﴿ إن تحت الرماد وفوق النجوم ، ما تراه ممايدوم ﴾

داوينى ربة الوادى

داوينى ربة الوادى داوينى
ربة الغاب اذكرينى ، ربة المروج اشفينى
ربة الانشاد انصرينى

*
* - *

ألا تذكرين يوم رددت وحيك بين قوم لا يشركون مع البعل الهاً ويوم قدمت ذبيحة للزهرة من يد من لا يعرف من الآلهة سواها ؟

ويوم ناديت باسمك فى هيكل إيزيس فطردنى من الهيكل الكهان

ويوم تصاعد دخان بخورك على الاولمب فاكفهر منه جبين رب الأوثان

أنا من وضع بخورك فى مجامر خدام هياكل الرومان

أنا من عقد أوتارك فى قيثارة راقصات بابل وقين اليونان

أو نسيت ما زرعته يدى حول هيكل تموز من الاشجار

وما حاكته يدى لربة الفينيقيين من أكاليل الغار

والازهار ؟

وما خطته يدى فى كتاب عبدة الشمس والنار

وما حطمته يدى من تماثيل الطغاة ودمى كبار الابرار

داوينى ربة الوادى داوينى

ربة المروج اشفينى ، ربة الانشاد انصرينى

انشدينى على قيثارك من الالحان التى تردد صداها

اليوم طيور الغاب وشحارير البستان

انشدينى من الانغام ، التى يطرف بها الرعاة الانعام

صوت نايك فى الدجى ، وصوت أرغنك فى الضحى

اسمعينى

الى صوت عبادك على ضفاف الانهار ، وصوت أولادك

فى القفار اهدينى

انشرى الآن حول سريرى ، ما كمن فى الحقول من

عبيرى

اسكبى الآن فوق رأسى ، ماتركته الاحقاب فى كاسى الحفينى بحبك ، ضمخينى بطيبك ، انعشينى بهمس شفتيك ، ولمس أناملك

رددى على مسامعى الآن ، ما نسيته مما علمتنى من الالحان .

اسمعينى الآن ، ما رددته عنك فى مجالس قين بابل واليونان .

داوينى ربة الوادى داوينى
ربة الانشاد اصلحيني

*
* *

أنا ناى الرعاة من عبادك　أنا عود العشاق من عبادك
أنا أرغن المتشرد من عبيدك　أنا كنارة الراقصات ليلة عيدك

أنا النفس التى يتجلى فيها جمالك ، وينبعث منها نورك وتنطبع عليها أسفار حكمتك ، وترف فوقها بلابل سحرك

أنا صوتك جسدته الدهور ، أنا روحك أنزلت فى الفيدا وفى الزبور

أنا رسولك الى صفوة العباد ، الى خير من زين الاحلام فى المعاد ، بل الى كل من هام فى كل واد

أنا وحيك فى نشيد الانشاد ، أنا نورك فى نفس من سربل التوبة بالانشاد .

أنا في قيثارك نغمة جسها الجهل ضمن جدران الاهرام

بل أنا أغنية رددتها الليالى على الاعوام

أنا فى قيثارك روح الفقنس تحت رماد المنون ، بل روح أرفيوس فوق أمواج الفنون

أجل أنا قيثارك ، وأنا صوتك ، وأنا نشيدك

ولكن يداً اثمية خنقت البلابل فى القيثار ، وقطعت منه الاوتار .

فجاءت اليوم بنات الهديل تداوى بسجعها سجعى العليل

داوينى ربة الوادى داوينى

ربة المروج اشفينى ، ربة الانشاد انصرينى

ألمسيني بأناملك تعيدى الىّ بهاء ملكى

عوديني فى الاسحار، تشتد من نسماتك الاوتار

اغسلى جراحى بموجات من فيوضاتك الالهية

ضمدى أوتارى برقية من رقياتك الموسيقية

أعيدى الىّ ما سلبتنى الآلام من مجد الحياة الشعرية

ضميني الى صدرك بنت الازل والخلود فتزول عن جفنى كآبة الاجيال ويثمر فىّ عقم الجدود

من يوم هجرت وإياك الجفان فى قديم الزمان، مارأيت أجمل من الحب فيك إلا الحنان

فختام اليوم هذا الصد والجفاء وهذا الهجر والنسيان؟

اذكريني ولو مرة فى ظلامى

عوديني ولو مرة فى منامى

انصريني قبل أن تذبل أيامى

غصن من الورد

ركبت فى الامصار البعيدة هواى وأرخته من عنانه
غرست فى بساتين الغرباء حبى فنور قبل أوانه
غرسته فى أرض سمراء جديدة فناحت عليه زهور زمانه
طرحت بذور حبي جزافاً ذات اليمين وذات الشمال
طرحتها فى سهول الحرية فأحرقها قيظ الفوضى وداستها
أرجل همجية
طرحتها فى أنجاد العلم فأيبس ما نبت منها الصر وحملت
رياح النزاع البقية الى حيث لا أدرى
طرحتها على شواطىء نهر الفلسفة الراكد فذوت فى
ظلاله الظليلة — ماتت لانها لم تر نور الشمس
غرست حبى فى غياض الحضارة الغيضاء فأدمته
الاشواك ، خنقه العليق ، قتلته الجذور السامة
غرسته فى أرض الاحباء والخلان فمات بالاستسقاء
من مستنقعات الكذب والرياء

غرسته فى حقول التجارة تجاه طواحين التمدن بين بيت الصراف وبيت الكاهن فتواطأ الاثنان عليه ومدا فى قلبه البلاط رصيفاً للصوص

لأولئك اللصوص الذين يؤاكلون ويشاربون القضاة

ذهبت بحبي الى الفقراء والبؤساء فغرسته فى أرضهم الجدباء فلم ينبت ، غرسته قدام بيت أم الحي فاقتلعته ورمته بوجهي وهي تقول : اذهب فى طريقك ، جاءنا قبلك مغرون فقتلوا — صلبوا — حرقوا — نطلب انصافاً وعدلا لا تعزية ورحمة .

جزت حي البؤساء الى مغاور اللصوص والاشقياء ، الى المنبوذين والممقوتين .

ذهبت فغرست بينهم غصناً نضيراً من حبي فعاش قليلا نحيلا ومات قبل أن يبلغ أشده

فى ظلمات قنوط المنبوذين قضى نحبه ، دخان تجديف الجاحدين أعماه ، خنقته روائح بذاءة اللصوص والقتلة فكفنه الفاجر بلعنته وجلقت الفاجرة فاها فوق جثته

هجرت المدن وهذه المدنية وركبت البحار

نثرت على المياه حبي كما تنثر شمس تموز ألماسها ولآليها

نثرته صباحاً فتلونت الامواج من شهواته . نثرته مساء

فتوهجت من نيرانه الآفاق .

كلم حبي السحاب فأجابه ، دعا البحر فلباه

لمس حبي الآفاق بأنامله فارتعدت وتموجت مبتهجة

متوهجة .

* * *

في صبح يوم من أيام الربيع بعثت حبي رائداً في صحراء

جديدة فمضى ولم يعد اليَّ .

ناديته من قمم لبنان فلم يجبني

فتشت عليه في الآفاق وورائها في مشرق الشمس

ومغربها فلم أجده .

تركت حبي يهيم ثانية على وجهه

فركب هواه مرة أخرى وتركني أتحسر وأتأسف

عليه ، آه عليَّ أواه عليه .

فى وطنى فى أرض أجدادى فى التربة التى ذاقت قديماً حلاوة ضربة معول رجل قوى ، غرست غصن وردطرى

غرسته والآمال تدفعنى والعزم يعقد شفتىّ

غرسته في مكان عزيز جعلته فى حرز حريز بعيد عن الحضارة والناس ، لا فرق عندى الآن أن صُمّتْ مسامعهم وان فتحت

لا يهمنى إن استحجرت قلوبهم أو استحالت طيناً أو ذابت ماءمعيناً . أنت أيتها الارض أمى وسأفرح يوم تضمينى الى قلبك كما تضمين الغصن الذي أنا الآن غارسه

أنت أيتها الارض حية أبداً — أبداً تحبلين وأبداً تلدين مهما كان ظاهرك فالشعور فيك لا يموت ، النار في قلبك لا تخبو

الخريف يزيل الوقر من أذنك والشتاء يلين قلبك والربيع يحرك لسانك والصيف يريك ثمرة أحشائك

ومن أفصح منك فى الربيع وأكرم منك في الصيف من أعظم تهيجاً وعطوفاً منك فى الشتاء ، من أشد

سمعاً فى الخريف ، من أرحم منك أيتها الارض ، من ألطف وأشفق وأحلم

تقبلين منا الاقذار وتعطينا عوضها الازهار

تستنشقين نتانة أمراضنا وروائحها وتعيديها الينا شذاء طيباً

تسكب لك السماء كأساً من الماء الزلال فيعكره الانسان فتفيضين عليه مكافأة خيراتك ومراحمك

أرض أجدادى افتحى الآن لى قلبك

لا تجهميني ، لا تعبثى برجائى وعملى ، لا تحبسى حبى عنى دهراً

أيتها الارض التى نقبها أبى وصلَّت تحت أشجارها أمى

لا تودعى آمالى الصخور ، لا تحمليها الى قمم الجبال فتموت هناك من الثلوج وشدة الرياح

*
* *

على كتف هذا الوادى الذى ردد صدى صراخى وغنائى

صغيراً فى هذه الارض التى هجرتها قبل أن هجرتنى الصبوة غرست غصن ورد طرى

كلمت الارض بيدى لا بلسانى ، حصبتها و نقبتها بعولى الصغير

طعمتها من ذاك الاسود الذى تفرزه المواشى ومن ذاك الاصفر الذى يكاد يشتعل فى الصحراء من قبلة الشمس ويكاد يذوب على السواحل من قبلة الامواج

سقيت غصنى من ماء الفؤاد وحجبت عنه النور فى أيامه الاولى

رفعت فوقه سرادق ودى وهيامى ونثرت حوله فى الشتاء أوراق الخريف البالية

ولبثت إذذاك أنتظر جواب الارض وحكمها

كم مرة زرت غصنى وهززته مستخبراً فلم تبد عليه لا إشارة الموت ولا علامة الحياة

كم مرة افتقدته وقلبت فيه الطرف مستقصياً أخباره

كم مرة وقفت أمامه والفؤاد يتموج بين اليأس والرجاء

تباركت أرض أجدادى فقد حسن فى عينها اجتهادى

تباركت أرض أمى فستربنى الورد على غصن تعبي وهمى

نعم الارض كلمتنى ، أجابت الارض سؤلى ، رددت

الارض صدى حبى

ها ان غصن الورد ينطق كالطفل

بدت عليه على شفتيه لفظة الحياة وأثمرت فى قلبه

الكلمة الحية التى تساقطت عرقاً من أناملى ومن جبينى

فى فمه لؤلؤة صغيرة ملفوفة بلفافة ذهبية ، وفى صباح

الغد تستحيل لفافة لازوردية وتبدو اللؤلؤة زمردة نحيفة ندية

وبعد غد أو بعده ينشأ من الزمردة صدفة خضراء

فى قلبها بحور من الورد لا ترى وأجيال من الحياة لا تعد

فى قلبها أوراق خضلة صغيرة ملتفة حول عرق نحيف

طرى لا يعرف بعد اسم الشوك ولا معناه

فى قلبها أغصان وفى قلب الاغصان ورد وفى قلب

الورد بذور وفى البذور الابدية والخلود

*
* *

كلمتنى أرض أجدادى ، أحيت فىَّ الرجاء ، ضمت الى صدرها طفل حبى وأنعشته بعد أن كاد يموت

نفخت فيه من روحها الازلى فتحرك لسانه

هو ينطق بما تلقيه اليه من آيات الحب والجمال والحكمة والرجاء ، أين فصاحتى من فصاحتها ؟

الارض لا تنطق إلا لتحيى . لا تتكلم إلا لتزهر وتثمر ما قالت « لا » بزمانها قط . فان كان جوابها إيجاباً « فنعم » وان سلباً فسكوتاً أبدياً

كل آياتها جميلة كل أقوالها منعشة محيية

وليتها تعلم بنيها القول المثمر المنعش الجميل
أوليتها تعلم بنيها السكوت

*
* *

كأنى بالارض تقول : ليكن عندك ذرة من الايمان فىَّ واعطنى ساعة من العمل فأعطيك عوضها مئة بل ألف ضعف من الحب والرجاء من السرور واللذة من العزم

والنشاط من الحياة البسيطة النقية التى لا سعادة للانسان إلا بها .

* * *

كل جرثومة على غصن الورد الذى غرسته هى لفظة من ألفاظ الارض العذبة ، هى رسالة حب من الام لبنيها

كل برعم من هذه البراعم هو عقدة من عقد الكون هو سر من أسرار الحياة

فى أى عصر ولدت أيتها الوردة ؟ أى أرض شاهدت أول زهرة من أزهارك واستنشقت أول نفحة من أريجك؟

من زرع بذرتك الاولى ، من غرس أول فرع من فروعك ؟

أول غصن من أغصانك الاصلية الاولى — من نقله من الحقل الى البستان ، من الوادى الى حديقة الانسان؟

أيتها الوردة البرية بل الوردة السرية من أى دغل نشأت وفى أى سلم من النباتات الشوكية رقيت ؟

لا تتكلم الارض إلا ألغازاً ، الارض لا تأتمن بنيها على أسرارها

احترز من شرك العلة الاولى ، لا تبحث فى أصول الاشياء .

متع نظرك ونفسك فيما تراه وتسمعه ، وإن شئت الدخول الى هيكل سر الاسرار فتجرد عن الجسد قبل أن تطأ أسكفة الباب .

*
* *

إنى لأجد لذة شهية غريبة فى مشاهدة هذه البراعيم الجديدة وفى مراقبة نشوئها ونموها

عددتهم والله مراراً كما تعد الام أسنان طفلها

افتقدتهم مراراً كما تفتقد الطيور عشوشها

تلهفت وأى تلهف على برعم واحد نثرته الرياح منها

ولكن زمن السرور قصير تكاد زبدة الاشياء تذوب قبل أن تجمد

*
* *

أواه صرت أخشى الاقتراب من وردتي فقدأنّت فروعها والتفت أغصانها وقسيت أشواكها

أواه صرت أنظر اليها بغير العين التي شاهدت نشوء براعيمها ونمو فروعها .

لهفي على وردة الحياة ، تريني ألف شوكة قبل أن تفيح بنفحة واحدة من شذاها

تجرحني مئة مرة قبل أن تعطيني زراً واحداً من أزرارها



معبدى فى الوادى

ايه أم الطبيعة بل أمى ، جئت أجدد معك آمال الحياة وسرورها ، جئت أجدد عهدى وايمانى مع كلاء الحقول وزهورها

جئت أردد تحت هذه الافنان الخضراء ، ابتهال أبنائك الاتقياء .

وقفت على ضريح الشتاء ليلا . فشاهدت هناك مشهداً جليلا .

شاهدت ربة الربيع تقبل جبين أبيها ، فينور الاقحوان تحت شفتيها.

رأيتها تكتب بدموعها سفر الخلود ، فيردده العصفور فى الجلمود .

ورأيت الاولاد فى الحقول حفاة ، يقطفون الزهور لخير من تألم فى الحياة فقلت فى نفسى ونعم الايمان فى قلوب الصبيان

إن فى قلبى اليوم شيئاً مما فى قلب جارى ، وفى قلب
الغاب أثراً من آثارى

ألا ان قلبى فى عقل هذا القروى وعقله فى قلبى الخفى
والذى يراه تحت الكلاء أراه أنا فى السماء ، والذى يراه فى
الارض المنبثق منها نور العالمين ، أراه فى أكمام الورد وفي
براعم الياسمين .

فاذا كنت أرى ذلك فى الحقل فلماذا أبرح الحقل ؟
ألأسمع في الكنيسة وعيد من لا يعرف من أسرار
الحياة سوى ما قرأه فى كتب اللاهوت والصلاة؟

ان فى ورقة من أوراق التوت، سراً لا يكشفه اللاهوت
الى الوادي إذاً ، هناك بين أشجار البطم والزمزريق
وتحت أدواح الصنوبر والسنديان أشيد هيكل الايمان

أرانى هنا فى بيتى ، بل فى بيت الطبيعة بل فى بيت الله
ورفقائى هم حقاً أحبائى ، هم اخوانى ، حباً بحبى واعاني
ان هيكلي لقريب من سلسبيل فضى ذهبى يجمع بين
الدم الجارى فى العروق والصبيب المتصاعد فى الاشجار

واللبن الذى يجدد فى النبات حياتها وفي الازهار أريجها والوانها ومنبر مرشدى هو مرسح الانشاد والتغريد ، لا منصة التحذير والوعيد

أسمع همس الافنان ، وهى تسبح فى قلبها الرحمن وقد أحياها النسيم العليل الذى جاء هذا اليوم من بلاد الجليل .

*
* *

سماع قد بدأ الدورى بتلحينه والسنونو بانشاده

سماع ان من حلق الحسون الذهبى تتدفق الانغام الفضية

ان الاطيار تدعوك الى تجديد إيمانك وآمالك فى الحياة

هى تفتح لك أبواب السماء مغردة ولا تبعدك عنها متهددة

هى تدعوك الى العمل ، وتنفخ فيك روح الجد والامل

أى ربة الغاب ان رؤساء هيلك يرددون صدى نشيد الربيع لا صدى منطق « الغورى » والمعضلات

وشتان بين « الغورى » والدورى ، وبين الحسون والخورى .

في ظل القويسة والغار ، وبين الصعتر والوزال والخنشار وبالقرب من ضحضاح يشف عن نباتات حية تحت الماء وفوق النهر الجاري تحت قدمي هذا الوادي الرهيب أبني لك أيتها النفس هيكلا من الايمان يؤمه في المستقبل البعيد من اخواني والقريب .

بل أقيم فيه تمثالا للوداد والاخاء وأدعو اليه كل بشر تحت السماء ، فيه أحيي اليوم أنفس المستقبل ومستقبل الانفس العظيمة

وحياتي لا تزري بحياة الخنافس والدبابات لان الناموس الذي يحركها تحت الكلاء يحرك النجوم في حبكها والسيارات في بروجها .

* * *

ان الاريج المنتشر من هذه الادغال هو البخور الذي يحرقه الربيع على مذبح الحياة والايمان

هو أريج الزعرور والقندول المختبئة أشواكهما الآن تحت نقاب جميل من الازاهر الصفراء والبيضاء

بين هذه الادغال الشذية وتحت شعاع ابتسامة الاشواك يلذ لى التأمل فى من مات ليحيى الحب والوداعة فى الناس.

بين هذه الاشواك تحملنى تصوراتى الى حيث وضع الاكاليل على رأس الشهداء

على أن الزمان لم يبق منه سوى الازهار تنور كل عام فى قلوب الاتقياء مثلما ينور القندول والزعرور فى الغابات

باسمك أيتها النفس الالهية أصنع لايمانى اكليلا من أزاهر الزعرور لا من أشواكه

باسمك أشيد لحبي هيكلا من خشب السنديان وأزينه بالصنوبر والنيلوفر وبأقمار البيلسان

والى أتباع الذى صلب وبنى الذين صلبوا أقول: تعالوا نسبحه أجمعين فى وادى المسرة لا فى وادى الدموع ، تعالوا نتصافح تحت السماء ، حيث لا حاجز يحول دون الحب ولا ما يحول دون الاخاء

إنا غريبان ههنا

أو

جمعة الآلام

كلمة همسها النسيم فى أذن رعاة الجليل فسمعتها الدهور وردتها الاجيال

كلمة من أغصان الزيتون فى أورشليم زلزلت العروش وأسمعت ملوك الارض صوت ذى الجلال

كلمة زرعتها دموع المرأة تحت الصليب ، فنورت فى السماء وكان فيها مسك ختام النحيب

هى كلمة الربيع فى كل عام ، بل نشيد الاطيار على الدوام ، بل أغنية الازاهر فى الحقول والآكام

وان أنفس الناس النبيلة ، لتتجسد فى مظاهر الربيع الجليلة

ان فى كل نفحة من نفحات الربيع ، روح بشر عظيم وديع

ان العالم فى هـذه الايام ، يحتفل بفوز أمراء الحب وملوك السلام

وان أكاليل الشوك لأعظم من تيجان القياصرة ، وكأس المر لأطيب من خمرة الأكاسرة — وقد يدرك هذا الانسان، فيظل من عبيد الزمان بل من أسراء الغرور والبهتان

*
* *

جئت الكنيسة لأردد اليوم مع الناس ، ذكر أمير الناس ، بل ذكر الحقيقة التى يعز نصرها بالعذاب ، وتحلو بعر الشراب

دخلت الكنيسة وفى نفسى من أحد النخل والزيتون مالا ينسينى إياه يوم الجمعة الأليم

بل فى نفسى من السرور والابتهاج مالا يضاهيه فرح الناس فى العيد العظيم ، ان فى هذا اليوم يجتمع القمر والشمس فيشرق الغد على المستقبل ، ويشرق على الحاضر الامس .

فى مثل هذا اليوم ولد على الصليب الكريم روح بشر صميم

انه ليوم حبور أيها الاتقياء ، لا يوم حزن وبكاء ، بل لبس ورياء .

وانما نحن فى جنازة المسيح ، وهذا وربى تجديف قبيح
ان وراء ذاك الستار الاسود الصليب وأمامه الآباء
ووجه كل قطوب كئيب

هم يجنزون من لا يعرفون ، بل يدمدمون وينعبون
والناس اليهم شاخصون

ويلاه أنا الوحيد الذى لا يرى ما يراه الآباء ولا يشعر
عما يشعر به هؤلاء الاتقياء

ها قد مشى فى الجنازة المدمدمون وهم فى الكنيسة
يطوفون

وهـذا الصليب وقد تصاعد وراءه النحيب وأمامه
البخور والطيب

وصل الموكب إلىّ ، فما جثوت على ركبتى

سرحت فى الناس نظرى فرأيتهم كلهم ساجدين ،
ورأيت بمقرب منى رجلا آخر من الواقفين ،

فقرأت فى وجه هذا الغريب ، ما خالج قلبي الكئيب
وصرخت ساكتاً — الهناء . إنا غريبان هنا .

ثم كلمت الغريب فقلت — ولم الجناز ـ و من صلب قد فاز ولم هذه الصلوات المبكية ، وقد أشرقت على الارض ابتسامة الحمية ؟

قال بالنظر الىّ ، ولم يجبنى بشىء

* * *

ها قد دفنوا الصليب تحت الزهور ، وانجلت غيوم البخور وطفئت الشموع ، وكفكف المدمدمون الدموع . خرجنا من الكنيسة أنا والغريب ، ونفسى تناجى ذاك الحبيب .

فسرنا معاً الى بستان من الزيتون خارج المدينة وجلست تحت شجرة هناك فجاس الغريب الى جانبى نظرت اليه و نظر الىّ وقد استولى علينا السكوت والعى فكأننا حبيبان ، فرق بينهما العرفان ، فجمعهما الحب والحنان

وفى مثل هذه الساعة تفسح اللحاظ ، عما تعجز دونه الالفاظ ، على أننى حرت فى أمره العجيب وقلت فى نفسى

من ياترى الغريب ؟

وما كاد يخطر ذلك فى البال حتى وقف أمامى كالخيال

فعرفت الطيف فى الحال ، وقد أنكرته فى شكل الرجال

وناديته مدهوشاً أخى — رفيق — سيدى — هذا فؤادى

ها بدى ، نفحة من جنانك كلمة لاخوانك

أسمعت خدامك ينعبون ؟

ألتمثالك الناس يسجدون وهم عنك بعيدون ؟

سيدى دعنى ألقى على كتفك رأسى ، فيذوب ثلج

فتورى ويأسى ، قربنى من فؤادك لأتزود من الحب الذى

لايعرفه أحد من عبادك ، سيدى أسقنى من الحرية والحق

والاخاء مالا يشوبه الخوف والرياء

*
* *

وبين أنا أكلمه فى البستان ، طل البدر من شرفة لبنان

فتركنى ذو الجلال ، مكانه كالخيال ، وذاب فى القمر فوق

الجبال .

خاتمة

إلى هنا قد انتهى ما أردناه من المختارات وبه ختمنا الكتاب وقد أوردنا فيه أكثر ما اتصل بنا مما قيل فى الفيلسوف الريحانى فعسى أن يكون عملنا محموداً لدى ذوى الفضل والادب ومشكوراً عند محبى الاطلاع على الآراء الجديدة

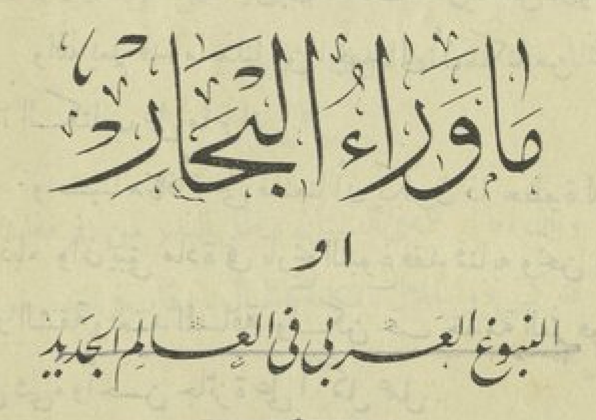
فقد أصبح بهذا بين يدى القارىء الكريم مجموعة علمية أدبية فلسفية اجتماعية دينية تحتوى على ملخص كتب الرجل ومحصل أقواله ومذاهبه وتخيلاته وشعره وتاريخ حياته وكيفية نشأته وماقيل فى حفلات تكريمه من نثر ونظم

والله يعلم قدرما بذلنا من الجهد الى أن تمكنا من انجاز هذا الكتاب على ما يراه

وحسبنا مكافأة على صنعنا أن يكون ذا حظوة لدى الادباء وأن يبقى مادة فى تاريخ النبوغ فقد قمنا به ونحن نعلم قدر الشقة وبعد المسافة ولكن حب خدمة العلم فوق كل شىء، وأحسن جائزة على أكمل عمل .

ولعلنا بهذا نكون قد نقلنا صورة صحيحة من رأى أدبائنا وشعرائنا فى الريحانى أحد نبغاء السوريين فى المهجر ذلك النابغة الذى هو أوثق صلة بين الادبين العربى والغربى على أنه أحد السوريين المهاجرين الاعلام الذين أحسنوا السفارة بين الادبين

وبهذه المناسبة ومقابلة الاحسان بمثله وإيفاء المحسن من جنس عمله أخذنا على عهدتنا أن نجعل كتاب « أمين الريحانى » أول حلقة من سلسلة كتبنا التى نريد نشرها عن أساطين الفلسفة وأركان الادب من السوريين فى العالم الجديد فقد صحت عزيمتنا على أن نشفع هذا الكتاب بكتاب



فهرست

كتاب « أمين الريحانى »

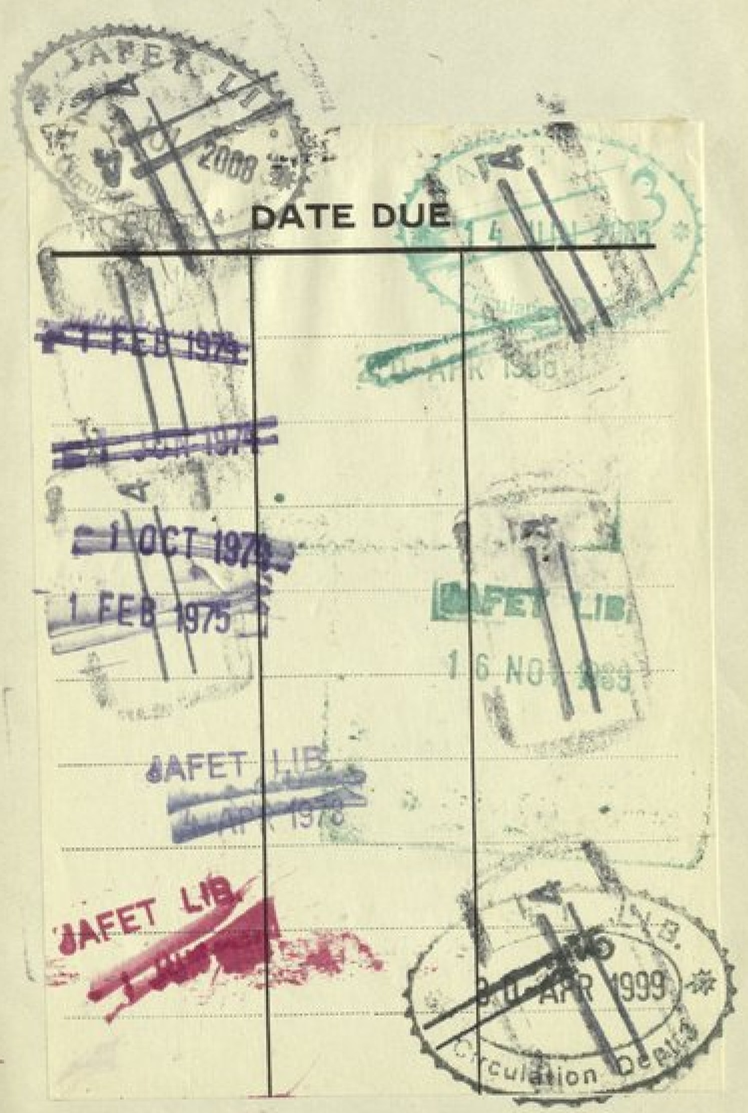
صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة


DATE DUE
1 FEB 1975
JAFET LIB
JAFET LIB
JAFET LIB
16 NOV
APR 1999
Circulation


AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT